رحلة إلى أستراليا

رواية

عنـــوان الكتاب: رحلة إلى أستراليا

اســـم المـؤلف: حنـان حنفي أحمد

التصنيف الأدبي: رواية

رقـم الإيـــــداع: 25384 / 2021

الترقيـــم الدولي: 978 – 977 - 998 - 250 - 2

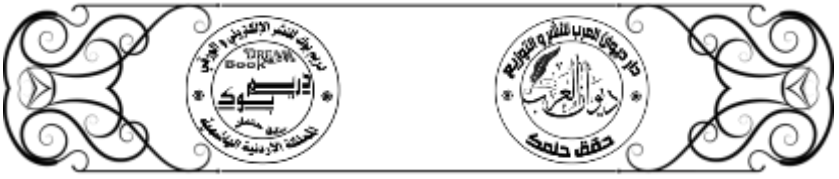

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين **تـصـميـم الغلاف: حسـام نـعيـم**

التنسيق الداخلي: محمد وجـيـه **رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الثالثة**

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

رحلة إلى أستراليا

رواية

حنان حنفي أحمد

حقوق حفظة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أبي حفظه الله

إلى أمي رحمها الله

إلى زوجي وأبنائي

إلى كل من آمن بقلمي وشجعني ولو بكلمة

شكرًا جزيلًا لكم جميعًا

حنان حنفي أحمد

****

أعلنت الخطوط الجوية عن اقتراب قيام الرحلة المتجهة إلى أستراليا فأخذ الركاب في الاستعداد، منهم من كان يودع أحباءه ومنهم من أخذ يتمم على أشيائه، وكان من ضمنهم الفنانة لي لي النجمة الصاعدة الحسناء التي كانت تتمتع بجمال من نوع خاص لافت للنظر؛ فقد كانت عينيها تميل للون الرمادي الهادئ، وكان أنفها دقيق وفمها صغير متناسق مع ملامحها الجميلة التي كانت دومًا محط أنظار الجميع. وقفت لي لي تودع رشا مديرة أعمالها في سرعة وتقول لها:

ـ كم كنت أتمنى أن تأتي معي؛ فأنا لم أتعود السفر إلى مكان بعيد هكذا وحدي، وتلك هي المرة الأولى لي أن أصور عملًا خارج مصر، والغريب أنهم قد غيروا وجهتنا في اللحظة الأخيرة، وطلبوا منا السفر إلى أستراليا، تلك البلد الغريبة، لماذا هي بالتحديد ألم يجدوا غيرها؟!

ـ رشا: وما المشكلة في أستراليا؟

ـ أين أذهب أنا للتسوق في تلك البلد الغريبة!!

ـ أنتِ ممثلة وعلى طريق الشهرة والاحتراف، يجب أن تتقبلي تلك الأمور بصدر رحب حتى تصلين إلى حلمك سريعًا، وأنا لولا ضرورة وجودي هنا كنت أتيت معكِ؛ فأنا وجودي هنا ضروري لأتمم بعض الأعمال لكِ ومتابعة كل شيء بنفسي.

- بالفعل وجودك هنا ضروري؛ فأنا أخشى أن أترك مصر ويأتي أحد يستغل ذلك، ويأخذ الفرص التي قد تأتيني.

- لا تقلقي لن يعلم أحد بأمر سفرك، وكل شيء سيكون على ما يرام والأعمال التي ستعرض عليكِ سأخبرهم بأنكِ ستطالعينها أولًا وتأخذين وقتك في التفكير بها، وتعطينهم رأيك إما بالرفض أو بالقبول.

- أحسنتِ يا رشا، أنتِ دومًا عند حسن ظني، ولا تنسي أن تزوري بيري أختي في مدرستها الداخلية، وأخبريها بأنني سوف أزورها قريبًا ولا تخبريها بأمر سفري حتى لا تحزن.

- حسنًا لا تقلقي، اهتمي أنتِ بشؤونك وعودي لنا بالأخبار السعيدة.

- بإذن الله، مع السلامة.

- مع السلامة يا فنانة.

.....

عندما سمع دكتور علي نداء الخطوط الجوية أخذ ينهي قهوته سريعًا حينما رن هاتفه وقد كان مساعده محمد؛ فرد عليه علي وقال:

ـ هل جدَ شيء يا محمد؟ الطائرة على وشك الإقلاع.

ـ أنا آسف يا دكتور مرةً أخرى أنني طلبت حضورك؛ فأنا لم أستطع أن أفعل شيئًا في الأمر الذي كلفتني به.

- أنا أعلم جيدًا أن الأمر أصبح أكبر منك، وأنك لم يعد في استطاعتك فعل شيء.

- لقد تحدثت معهم كثيرًا وشرحت لهم خطورة الموقف ولكن لم يهتم أحد هنا بكلامي، والموضوع أصبح شبه مزادٍ كبيرٍ، والكفة أصبحت تميل للنقود وليست للمصلحة العامة، أنا آسف حقًا.

- لا تأسف على شيء لم يكن لك يد به؛ فقد كنت أتوقع ذلك، وأنا آمل عندما أصل أن يستمع لي أحد ويقتنع بكلامي؛ فهناك فئة من الناس تجهل أهمية ما نفعله وتظن أنّ الموضوع لا يستحق العناء، ولكني لن أستسلم وسأحاول قدر استطاعتي أن أنجح في تلك المهمة.

- أرجو ألا يكون قد فات الأوان.

- سنفعل ما علينا ونتكل على الله.

- سأنتظرك في المطار يا دكتور.

- بإذن الله.

أنهى علي المكالمة مع محمد، وأخذ أوراقه واتجه إلى حيث رحلته التي أعلنوا عنها منذ قليل، كان يعدو سريعًا فاصطدم بفتاة من الخلف فوقعت منها حقيبتها وتبعثرت أشياؤها الخاصة على الأرض؛ فانحنى هو والتقط أشياءَها وأعطاها لها في سرعة وقال:

ـ أنا آسف، لم أكن أقصد.

قالها وانصرف سريعًا ولم يسمعها وهي تقول:

ـ لا عليك..

أخذ هو يعدو مسرعًا، واندهشت لي لي لأنه لم يعِرها أي اهتمام، ولم يبدُ عليه أنه قد تعرّف عليها؛ فهي برغم حداثتها في الوسط الفني إلا أنها أصبحت ذات شهرة في وقت قصير، وذلك بسبب دعاية فيلمها الجديد، ثُمَّ أخذت تسرع هي الأخرى لتلحق بالطائرة، ودخل الاثنان من نفس البوابة الصغيرة على نفس تلك الرحلة الغريبة المثيرة؛ فهي وبالرغم من أنّها إلى نفس الوجهة إلا أنّ لكلّ واحدٍ منهما هدف مختلف تمامًا عن الآخر؛ فتُرى هل سيوفق كلّ منهما في الوصول لهدفه أم ماذا؟

.....

جلس دكتور علي على مقعده في الطائرة، وأخذ نفسًا عميقًا، ثُمَّ أخذ يردد دعاء السفر عندما قاطعته فتاة جاءت لتجلس إلى جانبه، ثُمَّ قالت له: ألست أنت من أوقع حقيبتي منذ قليل؟

نظر لها ولم يتعرف عليها؛ فهو لم يدقق في ملامحها وقتما حدث ذلك ولكنه قال مع ذلك:

ـ أنا آسف حقًا يا آنسة لقد كنت في عجلة من أمري.

- وأنا أيضًا؛ فكما ترى نحن الاثنان على نفس الرحلة ونجلس أيضًا إلى جانب بعض، أرأيت المصادفة؟!

- تفضلي، وأنا آسف مرة أخرى.

- لا عليك.

جلست وقالت له: أنا لي لي.

- تشرفت بمعرفتك.

- وأنت ما اسمك؟

- أنا دكتور علي علي.

- اسمك علي علي!!

- نعم.

- إنه لاسم موسيقي حقًا.

- أشكرك.

نظرت لي لي له، وأخذت تتأمل ملامحه دون أن يشعر، كان علي قمحي البشرة عيناه بنيتان وشعره أسود يتهدل بعض من خصلاته على جبهته، ليس عن عمد، ويرتدي نظارة طبية تكسِبه وقارًا إلى جانب ملابسه التي تكسِبه وقارًا هي الأخرى.

حاول علي أن يشغل نفسه بالقراءة، ولكنه لاحظ عند بداية الإقلاع وربط الأحزمة بارتباك الفتاة التي تجلس إلى جانبه، والتي أخذت تستدعي المضيفة.

جاءت المضيفة وقالت:

ـ كيف أستطيع مساعدتكِ؟

- تلك هي المرة الأولى لي أن أسافر بالطائرة وأنا خائفة حقًا.

- لا تقلقي نحن هنا إلى جانبك، هل آتي إليكِ بمشروب ليهدِئ أعصابك؟

- لا فأنا أخشى أن أتقيأ؛ معدتي تؤلمني بالفعل.

فور أن سمعها علي ابتعد قليلًا وانتابه شعور بالاشمئزاز.

ـ قالت المضيفة: هل تتناولين أية أدوية معينة أستطيع أن أوفرها لكِ؟

- ليس هناك دواء معين.

كان علي يستمع إلى ذلك الحديث رغمًا عنه نظرًا لأنه بجانبها، وشعر بالاستياء؛ فقد كان يفضل رفقة هادئة حتى يتسنى له القراءة أو التفكير في موضوع سفره، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

دقائق مضت وأتت المضيفة بالدواء لي لي، وتناولت لي لي الدواء بالفعل، ولكن لم يأتِ بالنتيجة المرجوة، أو بمعنى أدق هي كانت تنتظر أن يسري مفعوله سريعًا وذلك لم يحدث، استدعت لي لي المضيفة مرةً أخرى، وقد لاحظ الركاب ذلك التوتر الذي يحدث.

قالت لها المضيفة:

ـ هل أنتِ أفضل الآن؟

- لا على الإطلاق.

ثُمَّ بدأت لي لي أن ترتعش فقالت لها المضيفة:

ـ هل تعانين من رهاب ركوب الطائرة؟

- وكيف لي أن أعلم؟! لقد أخبرتك أن تلك هي مرتي الأولى.

ثُمَّ تدخل علي وقال لها:

ـ حاولي أن تأخذي شهيقًا..

- ماذا تعني؟

- أقصد أن تأخذي نفسًا طويلًا، وانتظري قليلًا، ثُمَّ أخرجيه ببطء.

أخذت لي لي تفعل مثلما قال لها وبدأت تهدأ قليلًا، وشعرت المضيفة أن علي باستطاعته مساعدتها فمالت على أذنه وقالت:

ـ يبدو أنك متفهم لما يحدث، هل أنسحب أنا وتحاول أنت تهدئتها؟

همّ علي بقول وما شأني أنا بذلك، ولكنه خجل من حاله وقال:

ـ سأفعل ما باستطاعتي.

وذهبت المضيفة بالفعل، وقد كانت لي لي تعمل على تمرين النفس لتهدئتها كما قال لها علي، وبعد ذلك الطائرة بدأت في الإقلاع بالفعل؛ فتعالى صوتها وقالت:

ـ لا لا لا.. إنه أصعب مما تخيلت.

ـ قال علي: لا على الإطلاق، استرخي وخذي نفسًا عميقًا كما أخبرتك، وستكونين أفضل بإذن الله.

أمسكت بيده وقالت:

ـ أشعر بأن روحي تنسحب مني.

- أنتِ بخير حال صدقيني انظري إليّ ورددي خلفي، ثُمَّ أخذ علي يردد بعضًا من آيات القرآن الكريم، وهي كانت تردد خلفه، وتنظر له كما لو كانت مسحورة أو نصف غائبة عن الوعي إلى أن طارت الطائرة بالفعل وأصبحت تعلو في السماء، هدأت بعدها لي لي قليلًا وتركت يده، وأخذ نفسها ينتظم، وهدأت الرعشة التي انتابتها شيئًا فشيئًا، وبدأت تسترخي في مقعدها

وخلدت للنوم أخيرًا، هنا أخذ يصفق بعض الركاب لدكتور علي بإعجاب بما فعله معها؛ فقد كانوا بدؤوا يقلقون هم أيضًا بسببها؛ فبادلهم هو بإيماءة امتنان لهم، ثُمَّ شرع في قراءة ذلك الكتاب الذي أحضره معه، وبعد مرور نصف ساعة تقريبًا خلد للنوم هو الآخر، وبعد قليل استيقظ علي من النوم على إثر انتفاضة لي لي، والتي ضغطت على يده بشدة لا تتناسب مع شكلها الرقيق وأخذت تقول:

ـ كابوس.. كابوس.. إنه مزعج بحق.. أنا خائفة.

- لا تخافي إنه مجرد كابوس وانتهى.. اهدئي.

وأخذ يحاول تهدئتها لعلها تترك يده؛ فقد بدأ يشعر بالألم من ضغطتها عليه بهذا الشكل، وجاءت المضيفة وتساءلت عما يحدث فقال لها علي:

ـ إنه مجرد كابوس، ليس هناك شيء...

قاطعته لي لي وقالت:

ـ لا ليس مجرد كابوس، ستحدث كارثة.

ـ المضيفة: أية كارثة؟

قالت لي لي بخوف:

ـ إنها الطائرة، نحن في خطر.

.....

بعدما سمعت المضيفة لي لي وهي تقول ستحدث كارثة قالت بصوت منخفض لئلا يسمعها أحد من الركاب:

ـ لا على الإطلاق ليس هناك أي خطر يُذكر؛ فالطائرة تمضي في رحلتها دون مشاكل، استرخي قليلًا ولا تفكري بمثل تلك الأمور.

ـ لي لي: ولكن أنا أؤكد لكِ أنني...

عندما بدأ الركاب يلاحظون ما يحدث أخذت المضيفة تقول بصوت مرتفع:

ـ ليس هناك شيء إنه مجرد كابوس وانتهى.

ثُمَّ وجهت حديثها إلى لي لي وقالت:

ـ أرجوكِ اهدئي، قلقك وخوفك هذا سيثير رعب الركاب، أنتِ لستِ وحدك هنا.

ـ ولكن...

ـ أرجوكِ كفى وتماسكي قليلًا، إنه مجرد كابوس وانتهى.

نظرت لي لي حولها ووجدت الركاب ينظرون لها بضيق ونظرت إلى جانبها لتجد علي منزعجًا هو الآخر، وانتبهت أخيرًا إلى أنها تمسك بيده وضاغطة عليها بشدة فأطلقت سراحه أخيرًا وقالت:

ـ أنا آسفة حقًا، آسفة لكم جميعًا.

غادرت بعد ذلك المضيفة وعلى وجهها ابتسامة كبيرة في وجه الركاب، وجلست لي لي في سكون تشعر بالخجل من نفسها فأشفق عليها علي وقال:

ـ لا تقلقي يا آنسة كل شيء سيكون على ما يرام.

- ليته كان كذلك فأنت لا تعرف أحلامي؛ فأنا كل ما أراه في أحلامي يتحقق مع الأسف؛ فقد حدث ذلك معي كثيرًا.

لم يستطع علي أن يصدقها في ذلك القول ولكنه قال مع ذلك:

- ماذا رأيتِ؟

- لا أستطيع أن أخبرك مع الأسف، ألا تعرف مقولة أنه عندما ترى كابوسًا مزعجًا يجب ألا تقصه على أحد حتى لا يتحقق.

ابتسم علي وقال:

- نعم سمعت ذلك بالتأكيد؛ فتلك من مقولات أجدادنا.

- نعم ولكنها صحيحة.

- ليس بالضرورة، وأنا أؤكد لكِ أن كل شيء على ما يرام.

- ليته كذلك.

- تفاءلي خيرًا يا.. أنا آسف لقد نسيت اسمكِ.

- لي لي.

حاول علي أن يغير من دفة الحديث حتى يشغلها عن قلقها من ذلك الكابوس فقال لها:

ـ ألم تسافري من قبل على الإطلاق؟

- لقد كنت أسافر ولكن داخل مصر وليس بالطائرة بالتأكيد، وأنت هل سافرت من قبل؟

- نعم كثيرًا فطبيعة عملي تحتم عليّ السفر.

- ماذا تعمل؟

- أنا دكتور وباحث في عالم الحيوان، وأسافر كثيرًا لأحضر ندوات ومؤتمرات، وأُنتدب كطبيب في بعض المحميات الطبيعية.

- أنا لا أفهم شيئًا مما تقول.

- لا عليكِ، وأنتِ هل تعملين؟

- نعم بالطبع، ألم تتعرف عليّ؟ فأنا أعمل موديل وممثلة ألم تشاهد لي عملًا من قبل؟

- لا مع الأسف؛ فأنا بحكم عملي لا أشاهد التلفاز كثيرًا، أخبريني ما هي أعمالك حتى أشاهدها بعد ذلك؟

أخذت لي لي تقص عليه أعمالها كلها، وبالرغم من كثرتها إلا أنه شعر أنها ليست بشيء يُحسب لها، فتلك أغنية وذلك مشهد في مسلسل وهكذا، ثُمَّ قالت له:

ـ ذلك السفر لم يكن على البال قط؛ فقد فاجئني به المخرج منذ أيام وبعد أن كنا سنسافر إلى أمريكا للتصوير هناك تم تغيير وجهتنا لأستراليا في آخر لحظة، ومنذ وقتها وأنا متضايقة وحزينة للغاية.

- لماذا؟

- لقد كنت أريد أن أتسوق وأشتري لي ملابس جديدة، وبعد أن علمت بتغيير وجهتنا خاب أملي كثيرًا، فتلك البلد ليس بها ما أريده فأنا لا أعلم حتى بم تشتهر.

- فهمت سر حزنكِ.

- هل تعلم.. ذلك الفيلم الجديد الذي أعمل عليه سينقلني إلى أعلى سُلم المجد بسرعة، هذا بالرغم أنه قد جاء لي فجأة دون سابق إنذار؛ فأنا وقتما عُرض عليّ كنت مشغولة بمسلسل جديد، وكنت أعمل عليه بتركيز تام ولكن عندما رآني أبو فراس قال على الفور:

ـ هذه هي بطلة فيلمي الجديد.

- ومن هو أبو فراس؟

- إنه ثري عربي ومنتج سينمائي، ومنذ أن رآني وهو يلاحقني وعرض عليّ هدايا كثيرة، ولكني رفضتها ليعلم أنني لست كبقية الفتيات اللاتي كان يعرفهن؛ إلى أن صارحني في النهاية بأنه معجب بي وطلب مني أن أعطيه فرصة ليثبت حسن نواياه، وقد كان يريد مني أن أسافر بصحبته وحدنا ولكن هيهات.

- ولكن ألن يحضر هو التصوير بنفسه في أستراليا؟

- سيحضر بالتأكيد، إنه هناك منذ يومين بالفعل هو وبقية الجروب، أنا فقط من تأخرت في السفر بسبب إنهاء ذلك المسلسل الذي كنت أعمل عليه.

- ألم تشعري بالغرابة بسبب قرار السفر للتصوير فجأة، وقد عرض هو عليكِ السفر أيضًا قبلها؟

- ليس هناك علاقة.

وأخذت لي لي تتحدث وتتحدث، وعلي مع الأسف كان مجبرًا أن يستمع لها، وندم أشد الندم على حديثه معها من البداية، وتمنى حقًا لو عادت للنوم حتى وإن راودها ذلك الكابوس المزعج مجددًا.

.....

أخذت لي لي تتحدث وتتحدث دون توقف وتحكي عن تجربتها في عالم التمثيل، ثُمَّ بعد ذلك قالت لعلي:

ـ هل تعلم ما يشغل بالي حقًا؟

قال علي بنفاد صبر: ماذا؟

ـ بالأمس تحدث إليّ واهب مدير أعمال أبي فراس وأخبرني بأنّ أبا فراس قام بتحضير مفاجأة لي ستعجبني كثيرًا، وقد سألت نفسي عن ماهية تلك المفاجأة ولم أستطع التخمين، ولكن رشا مديرة أعمالي قالت لي بأنه ربما سيعرض عليّ الزواج، وأنا لا أعلم هل أوافق على ذلك العرض أم لا؟

ـ هل تشعرين نحوه بأي شيء؟

ـ لا على الإطلاق، الفكرة في أنها فرصة لن تتكرر بتلك السهولة.

ـ فرصة!!.. أعتقد أنني لن أفيدك في ذلك الأمر لأنني أفكر من وجهة نظر مختلفة تمامًا.

ـ وما هي وجهة نظرك؟

ـ الزواج رباط قوي يجمع بين اثنين، ويجب أن يكون الزوج والزوجة متفاهمين ويكنون الاحترام لبعضهما البعض.

ـ وهل يشترط ذلك وجود الحب من البداية؟

ـ ليس بالضرورة والدليل على ذلك أن هناك زيجات كثيرة تمت عن طريق زواج الصالونات، وقد نجحت مع العشرة والاحترام المتبادل، وبالتأكيد حل الحب على حياتهما مع الوقت.

ـ ولكنني لا أؤمن بذلك الحب، أشعر أنه حالة تسيطر على الإنسان في وقت ما، ثُمَّ تزول سريعًا مع الأيام والرتابة.

ـ الحب الحقيقي لا يزول مع الأيام، ولكنه قد يهدأ قليلًا ويبقى الاحترام والتفاهم هما سيدا الموقف.

ـ ربما.. ولكن هل معنى كلامك هذا أن أرفض أبا فراس؟

ـ معنى كلامي هذا أن تفكري في الزواج من منظور آخر غير منظور الفرصة التي لا تعوض.

أخذت لي لي تفكر في كلامه هل هو محق أم هي؟ ثُمَّ أخذت تنظر له وتقول في نفسها: إنه يبدو من هؤلاء الناس المُرفهة التي لم تعانِ يومًا كما قد عانيت أنا قديمًا، ورأيت الكثير والكثير في حياتي قبل أن أصل لما وصلت إليه الآن.

.....

ذهبت رشا إلى مدرسة أميرة الداخلية والتقت بمديرة المدرسة وتحدثت معها قليلًا عن أميرة وسألتها المديرة:

ـ أين أختها لماذا لم تأتِ فقد كانت أميرة في انتظارها.

ـ إنها مشغولة كثيرًا واضطرت للسفر من أجل ظرفٍ طارئ، ولكن لا تخبري أميرة بسفرها حتى لا تحزن.

ـ أميرة ستحزن بالتأكيد لأنها كانت منتظرة زيارتها اليوم، وتعد نفسها منذ أيام لذلك اللقاء.

ـ ليست هناك مشكلة فأنا هنا موجودة من أجلها وأحل محل أختها.

ـ أميرة في مرحلة حرجة وتحتاج لأختها يا آنسة رشا.

ـ أنا أعلم بأنها في مرحلة المراهقة، ولكنها فتاة عاقلة تحسن التصرف.

ـ أنا أريد مقابلة أختها فور عودتها من فضلك.

ـ حسنًا سأخبرها.

طرقت أميرة على الباب ودخلت في لهفة، وقد كانت تظن أن من حضر هي لي لي وعندما رأت رشا قالت:

ـ رشا.. أنتِ من أتيتِ، أين لي لي؟!

ـ لم تستطع الحضور لانشغالها، ولكنها تعتذر منكِ وتعدك بأنها ستعوضك

ـ حقًا.. وبما ستعوضني هذه المرة؟

ـ هي تحضر لكِ مفاجأة كبيرة ستنال إعجابك بالتأكيد.

ـ وأين لها بكل تلك الثقة؟

قالتها بصوت خفيض، ثُمَّ أكملت وقالت:

ـ أستأذن منكما، سأعود لفصلي الآن.

تنهدت المديرة في أسى وقالت:

ـ مسكينة أميرة.

كانت رشا تشعر بالأسى من أجل أميرة هي الأخرى، ولكن ماذا ستفعل لها.. لم يكن بيدها حيلة.

.....

فور عودة أميرة إلى فصلها أخذت في البكاء، وتجمع صديقاتها حولها يهدئونها وسألوها عن سبب بكائها فقالت:

ـ لم تأتِ اليوم أيضًا، كم كنت أرغب أن أراها اليوم، وأقول لها بنفسي عيد ميلاد سعيد قبل أن يقولها لها أحد آخر، وأعطيها بنفسي هديتها التي أحضرتها من أجلها ولكن هيهات.

قالت إحدى صديقاتها:

ـ ربما عندها ظرف طارئ منعها من أن تأتي.

ـ أميرة: هي حياتها كلها عبارة عن ظرف طارئ، وأنا سئمت ذلك وسأجد حلًا لذلك الموضوع بالتأكيد.

.....

كان علي يقرأ في هدوء، أما عن لي لي فقد كانت تنظر إلى المرآة وتُصلح زينتها، ثُمَّ فجأة وجد الاثنان حركة غير عادية بين مضيفي الطائرة، وبعد قليل سمع الجميع صوت الكابتن يتردد في أركان الطائرة وهو يعلن ويقول:

ـ على جميع الركاب ربط الأحزمة جيدًا، والاستعداد لهبوط اضطراري في أقرب مطار لنا نظرًا لتعرضنا لظروف طارئة.

فقالت لي لي في قلق:

ـ ألم أخبرك أنّ هناك أمرًا سيئًا سيحدث؟

ـ علي: لن يحدث شيء سيّئ، لا تقلقي يا آنسة.

اندهشت لي لي من هدوئه وتمنت لو كانت مثله، ولكن هي كانت على العكس تمامًا، واستعد الجميع للهبوط، ومرة ثانية شعرت لي لي بالذعر وضغطت بيدها على يد علي بشدة فنظر لها يطمئنها وقال لها:

ـ رددي خلفي هذا الدعاء بيقين ومن قلبك، ولن يحدث لكِ مكروه بإذن الله:

«اللّٰهُمَّ إني استودعتك نفسي فاحفظها لي يا من لا تضيع عنده الودائع».

أخذت لي لي تردد خلفه وبذلت مجهودًا كبيرًا لتقولها بيقين كما أخبرها وشعرت بالغرابة لأنها لم تكن تدعو الله بيقين من قبل؛ بل ولم تفعل شيء في حياتها بيقين من قلبها على هذا النحو من قبل، وأخذت تتذكر كيف كانت تعيش حياتها في سرعة وعمل دون توقف، ولم تكن تؤدي عباداتها كما ينبغي؛ فقد كانت مقصرة للغاية، وأخذت تفكر بأنها لو ماتت في تلك اللحظة كيف ستقابل ربها؛ فأخذت تبكي رغمًا عنها وتدعو وتستغفر الله وتردد الشهادة، وشهقت وهي تبكي عندما تذكرت أختها الوحيدة أميرة إلى من ستتركها وهما تعيشان وحدهما، ولم يكن لهما أقارب سوى خالتهما فقط، وأخذت تردد بصوت استطاع علي سماعه:

ـ حبيبتي يا أميرة ليتني ما تركتك وسافرت، سامحيني يا أختي.

رق قلب علي لحالها وحاول تهدئتها فوجدها تقول:

ـ لو قُدر لي النجاة سأعتزل التمثيل، وأبحث عن مهنة أخرى وسأعوض أختي عن غيابي عنها وإهمالي لها.

ـ ستعودين لها وكل شيء سيكون على ما يرام.

ـ كم أتمنى ذلك؛ فأنا لست مستعدة للموت بعد، أخشى أن أقابل الله على ذلك الحال.

ـ استغفري الله كثيرًا فإن الله رحيم يقبل التوبة.

ـ هل تعدني إن لم يُقدر لي النجاة أن تعتني بأختي.

ـ اطمئني لن يعتني بها أحد غيرك، لا تقلقي.

ثُمَّ رأى الاثنان أقنعة الأكسجين وهي تتدلى فقالت لي لي على الفور:

ـ نحن في خطر أليس كذلك؟ فأنا رأيت في الأفلام عندما تتدلى هذه الأقنعة فإن هذا يدل على وجود خطأ ما.

ـ ليس كل ما يحدث في الأفلام حقيقة.

ـ هل تضحك عليّ أم أنك تخبرني بالحقيقة؟

ـ أنا أكره الكذب وأخبرك بما في قلبي؛ فأنا ثقتي في الله كبيرة وأثق أن الله لن يضيعنا.

ـ كم أود أن أكون مثلك.

ثُمَّ رأته يردد شيئًا في خفوت فقالت:

ـ ماذا تردد؟

ـ أردد بعضًا من آيات القرآن الكريم.

ـ رددها بصوت عالٍ من فضلك لأقولها معك.

أخذت لي لي تردد معه ودموعها تنساب على خديها، ثُمَّ قلت نوبة ذعرها كثيرًا، وأمسكت في ذراع علي بقوة أثناء هبوط الطائرة، وأخذت تصرخ رغمًا عنها وتقول:

ـ سامحني يا ربي.. يارب نصل على خير دون حدوث شيء سيّئ.

بعد قليل حطت الطائرة أخيرًا، وسمع جميع الركاب صوت الكابتن وهو يقول:

ـ لقد وصلنا الحمد لله على السلامة.

فنظر لها علي وقال:

ـ لقد هبطت الطائرة على خير، نحن بخير يا آنسة.

نظرت لي لي إلى علي غير مصدقة بأن ظنونها قد خابت، وأنها نجت، ثُمَّ قالت لعلي:

ـ لا أعلم كيف أشكرك، أنت حقًا شخصٌ رائعٌ.

ـ علي: العفو أنا لم أفعل شيئًا.

تذكرت لي لي نيتها في الاعتزال وما إذا كانت تملك الشجاعة الكافية لاتخاذ هذه الخطوة أم لا.

.....

جلس أبو فراس يحتسي قهوته في ملل فسأله مدير أعماله واهب:

ـ ماذا بك يا سيدي؟

ـ أشعر أن المفاجأة لن تعجبها.

ـ لا تحمل همًا لذلك على الإطلاق؛ فقد تأكدت بنفسي من عشقها للحيوانات، والفتيات مثلها ستعجبها تلك الهدية.

ـ لا أعلم.. أن تأتي إلى أستراليا وتقطع كل تلك المسافة بعد أن أصبحت على علم أنني أحضر لها مفاجأة، ثُمَّ تجدها في النهاية حيوانًا؛ لا أعتقد أن ذلك سيسعدها.

ـ إنه ليس بأي حيوان، إنه حيوان نادر يأتي الناس له من كل صوب ويتكبدون مشقة السفر إلى هنا؛ ليلتقطوا الصور برفقته وكأنه نجم سينمائي، وثمنه باهظ للغاية خاصةً وأنه مهدد بالانقراض.

ـ أتمنى حقًا أن ينال إعجابها، لا تنسَ فور أن تبتاعه أن تصورني معه وصورتي تلك تتصدر الصحف؛ فأنا سأدفع فيه مبلغًا وقدره...

ـ لك هذا يا سيدي، وإن شاء الله الهدية تنال إعجاب الفنانة وتنال رضاها لترتاح ويهدأ قلبك.

ـ ليت ذلك فأنا منذ أن رأيتها وأنا منشغل بها وهي لا تشعر بي.

ـ إنه دلال الفتيات فقط وسيحدث قريبًا ما تتمناه.

ـ أتمنى ذلك، ماذا عن تصوير الفيلم، هل كل شيء يسير على ما يرام؟

ـ نعم.. إن طاقم العمل يعمل على تلك المشاهد التي لن تظهر الفنانة بها وكل شيء يسير على ما يرام إلى الآن.

ـ جيد.. وهل انتهى ذلك المخرج من شكواه؟

ـ لا لم ينتهِ بعد؛ فهو منذ تغيير وجهتنا في التصوير من أمريكا إلى هنا في أستراليا وهو لا يتوانى عن الشكوى لحظة؛ فضلًا على أن الآنسة لي لي تأخرت في الوصول عليهم، وذلك لا يعجبه أبدًا.

ـ أنا لا أعرف ماذا يريد منا طالما ندفع له أجره وأكثر، ذلك الرجل لن أتعاون معه مرة أخرى.

ـ هذا رأي صائب يا سيدي، إنه كثير الشكوى بالفعل.

ـ لا تنسَ أن تكون في استقبال لي لي في المطار بالورود، وضع كارت باسمي عليه

ـ لن أنسى ذلك.

ـ كم اشتقت إليها تلك الفتاة ولخفة دمها.

ـ هكذا هم المصريون يا سيدي يتسمون بخفة الدم.

ـ حقًا!.. عليّ إذًا أن أستبدلك وآتي لي بمساعد مصري.

ـ لا أرجوك يا سيدي، تكفيك الفنانة وأبقِ عليّ.

ـ طالما تأتي لي بالأخبار الجيدة سأُبقي عليك.

ـ في خدمتك دومًا يا سيدي.

.....

جلس الركاب في صالة المطار ينتظرون مصيرهم بعد هبوط الطائرة بعيدًا جدًّا عن وجهتهم الأصلية، كانوا يترقبون في قلق مصيرهم، وكان أكثرهم قلقًا دكتور علي، حيث أن كل دقيقة تأخير ليست في صالح مهمته المعقدة، اقتربت منه لي لي وسألته:

ـ ماذا بك، للمرة الأولى أشعر أنك قلق.

ـ المهمة التي قد جئت من أجلها لا تستدعي التأخير.

ـ وما هي مهمتك تلك؟

ـ مهمتي هي إنقاذ حيوان نادر مهدد بالانقراض من مصير مظلم.

ـ حيوان نادر، ما هو؟

ـ إنه حيوان الكوكا.

ـ حيوان الكوكا! ما هذا الحيوان أنا لم أسمع به من قبل؟!

ـ إنه أسعد حيوان على وجه الأرض.

ـ كيف ذلك؟ أرجوك أخبرني عنه فأنا أعشق الحيوانات.

ـ حيوان الكوكا هو حيوان عُشبي مهدد بالانقراض؛ لأنه ودود جدًّا يقترب من الثعالب والثعابين ليلعب معهم فيأكلونه.

ـ مسكين.. ولماذا هو أسعد حيوان على وجه الأرض؟

ـ السبب يرجع لشكل فمه الذي يعطي انطباعًا بأنه يضحك بشكل مستمر، وذلك دفع العديد من المصورين وكذلك السائحين إلى السفر لالتقاط الصور معه في أستراليا؛ فهو يعيش في غرب أستراليا.

ـ مسكين هذا الكوكا، يقترب من الحيوانات المفترسة ليلعب معهم فيأكلوه، هل معك صورة له؟

ـ نعم.. ها هي تفضلي.

تطلعت لي لي إلى صورة الكوكا وقالت:

ـ ما أجمله! إنه جميل للغاية ويبتسم مثل الإنسان سبحان الله، هل أخبرتك أنني أعشق الحيوانات خاصةً الكائنات الرقيقة مثل ذلك الكوكا، ليتني أمتلك واحدًا مثله.

ـ للأسف هو غير متاح فهو مهدد بالانقراض، ولم يظهر واحد من فصيلته منذ وقت بعيد، ولكن منذ أسبوعين تحديدًا وجدوا في جزيرة بعيدة عن الأنحاء في أستراليا حيوان كوكا فصيلة نادرة، وقد أمسكوا به مع العلم أن من يقترب من هذا الحيوان أو يحاول اصطياده يُعاقب بدفع ضريبة، وقد يصل الأمر للحبس ومع ذلك أوقعوا به ويحتفظون به لبيعه في مزاد سري لمن يدفع أكثر، إن هذا ما بلغني به مساعدي، وهو هناك بالمناسبة وحاول منعهم ولكنه فشل؛ لهذا قررت أن أذهب أنا بنفسي لمنع تلك الجريمة.

ـ أنت شخص رائع بحق ومهنتك في غاية الأهمية، مؤكد ستوفق في مهمتك تلك لأنها نبيلة، أنا لا أعلم ماذا حدث للناس لتفكيرهم الأناني هذا.

ـ أشكركِ لشعورك النبيل، ليتهم يفكرون مثلكِ.

ثُمَّ سمع الاثنان نداء على ركاب رحلتهم أن يتوجهوا للاستعلام ضروري، ذهبوا جميعًا إلى هناك، وأخبروهم بتوافر باخرة متوجهة إلى جزيرة (ألباني)

بأستراليا، وقد كانت تلك هي نفس الوجهة التي كان سيقصدها علي، فقال على الفور:

ـ أنا سآخذ الباخرة، ذلك يناسبني تمامًا.

قالت له لي لي على الفور:

ـ وأنا.. هل ستتركني وحدي؟

ـ أنا آسف حقًا، ولكن أنتِ تعرفين جيدًا حجم خطورة مشكلتي، ولكن مهلًا انتظري، ألا تعرفين إلى أين هي وجهتك؟

ـ لا ولكن سأحاول أن أتصل بأحد لأسأله.

اتصلت لي لي بواهب لتسأله، وبالفعل أخبرها أن مكان التصوير يبعد نصف ساعة عن جزيرة ألباني فتهلل وجهها وقالت لعلي:

ـ سأذهب معك لتلك الجزيرة يا دكتور.

ـ حقًا! وأنا لن أتركِكِ حتى أوصلك إلى زملائك هناك، وأطمئن عليكِ بنفسي.

ـ أشكرك يا دكتور علي.

ذهب علي ليرى أمر الباخرة، وأكملت هي حديثها مع واهب وقالت له:

ـ أبلغ طاقم التصوير بأسفي يا واهب بسبب تأخري، ولكنه ليس بيدي فقد حدثت مشكلة على الطائرة.

ـ لا عليكِ يا فنانة المهم أن تصلي بالسلامة.

ـ إن شاء الله، ولكن يا واهب ألن تخبرني بالمفاجأة التي يعدها أبو فراس من أجلي.

ـ إنها مفاجأة يا فنانة عندما تصلين سترينها بنفسك.

ـ ما هي يا واهب أخبرني أرجوك؟ فأنا أتحرق شوقًا لمعرفتها.

ـ إنها هدية ستنال إعجابك بالتأكيد.

شعرت لي لي بالغضب فقد كانت تظن بأنه سيعرض عليها الزواج وندمت أنها قد قامت بتلك الرحلة من الأساس.

عاد علي وقال لها:

ـ هل أنتِ مستعدة سنرحل عما قليل؟

قالت وهي ساهمة:

ـ نعم.. أنا مستعدة.

صعدا معًا على الباخرة وكان معهم بعض من ركاب الطائرة، كانت الباخرة كبيرة وبها الكثير من الخدمات.

جلست لي لي وجلس علي إلى جانبها ثُمَّ سألها:

ـ هل تعانين من رهاب البحر أيضًا أم لا؟

ـ لا أعلم فلم يسبق لي ركوب باخرة من قبل.

ـ حقًا.. علينا أن نستعد إذًا.

ـ أنا آسفة لأنني أثقلت عليك.

ـ لا عليكِ.. المهم أن نصل سالمين بإذن الله.

كانت لي لي شاردة وقد تذكرت حلمها الذي أخذ يتردد على عقلها في لقطات سريعة كالومضة، ولكنه غير كامل، وشعرت بالقلق عندما تذكرت رؤية نيران في حلمها؛ فتوترت كثيرًا عند هذه النقطة، وظهر القلق على وجهها ولاحظ علي ذلك فسألها:

ـ ماذا بكِ هل أنتِ على ما يرام؟

ـ لا.. أشعر بأن شيء سيّئ سيحدث.

ـ مرَّة أخرى.. أرجوكِ كفى.

.....

استدعت مديرة المدرسة رشا فذهبت رشا على الفور وفور وصولها سألتها المديرة:

ـ أميرة تريد قضاء إجازتها مع أختها، ماذا ستفعلين؟

ـ ليست هناك مشكلة سآخذها لتقضيها معي.

ـ عليكِ إقناعها إذًا.

ـ حسنًا ليست هناك مشكلة.

جاءت أميرة وعندما رأت رشا قالت:

ـ أين لي لي.. لماذا لم تأتِ هذه المرة أيضًا؟

ـ رشا: بيري حبيبتي.. كيف حالكِ؟

ـ أنا اسمي أميرة ولا أحب اسم بيري هذا، أين لي لي؟

ـ لي لي سافرت للعمل ولكنها ستعود قريبًا.

ـ سافرت دون أن تخبرني كيف ذلك، وأين سأقضي إجازتي؟!

ـ ستقضينها معي فقد اتفقت مع أختك على ذلك.

ـ حسنًا سأجهز حقيبتي وآتي معكِ.

ذهبت أميرة لتحضر حقيبتها وهي تبتسم في خبث فقد أعدت خطتها وقررت أن تنفذها؛ فقد قررت ألا يفرض عليها أحد أي شيء بعد الآن.

وصلت أميرة مع رشا إلى منزلها وأرتها الأخيرة غرفتها التي ستمكث بها وقالت لها:

ـ إذا أردتِ أي شيء أخبريني على الفور.

ـ حسنًا.

دخلت رشا إلى غرفتها وأغلقتها عليها، وكانت أميرة تراقب باب غرفتها جيدًا، وعندما تأكدت أنها لن تخرج منه قريبًا، أخذت أميرة حقيبتها في خلسة حتى لا تشعر بها رشا، وأسرعت نحو الباب وخرجت على الفور، كانت تلك هي خطتها التي فكرت بها وقررت تنفيذها، وقد قررت منذ تلك اللحظة أن تحدد مصيرها بنفسها لا أن يحدده لها أحد، ولكن رشا المسكينة لم تكن تتوقع حدوث شيء كهذا أبدًا، ولم تأخذ احتياطاتها لذلك على الإطلاق.

.....

قبل إقلاع الباخرة جلست لي لي في قلق، ثُمَّ قررت الاتصال بواهب لتسأله عن تلك المفاجأة التي جعلتها في ضيق واضح، قامت بالاتصال به بالفعل وقالت:

ـ واهب أرجوك أخبرني ما هي تلك المفاجأة؟ أنا لن أستطيع الانتظار حتى أراها يكفي ما مررت به في تلك الرحلة الغريبة.

ـ لا تقلقي يا فنانة، المفاجأة هي شيء تحبينه للغاية.

أخذت لي لي تفكر؛ فهي تعشق الذهب والماس، ولكن أستراليا لا تشتهر بتلك الأشياء فسألته:

ـ ما هو بالتحديد فقد نفد صبري؟

ـ حسنًا سأخبرك، ولكن لا تخبري سيدي حتى لا يغضب مني.

ـ تحدث هيّا.

ـ ألستِ تعشقين الحيوانات؟

ـ قالت لي لي في قلق: نعم.

ـ سيدي سيأتي إليكِ بأجمل حيوان على وجه الأرض، ما رأيك في تلك المفاجأة؟

ـ ماذا.. هل تعي ما تقول، وهل ذلك شيء يسعدني؟!

ـ رشا هي من أخبرتني أنكِ تعشقين الحيوانات، وللعلم فإن ذلك الحيوان باهظ الثمن.

ـ كل ما في الأمر يا واهب أنني كنت أتوقع شيئًا آخر تمامًا.

ـ إنها البداية فقط يا فنانة فهو يريد نيل رضائك، وبعد ذلك سيأتي ما تتوقعينه وتنتظرينه وأكثر.

ـ هل تظن ذلك؟

ـ نعم بالتأكيد وسترين بنفسك، هل أبعث لكِ بصورة لذلك الحيوان؟

لم ترد لي لي عليه فقد كانت تشعر بخيبة أمل رهيبة، ولم تتوقع أن تكون المفاجأة هكذا، ثُمَّ أخذت تراجع نفسها وتفكر في أنه مع ذلك يحاول كسب رضاها؛ حتى وإن كان بتلك الطريقة، وقالت في نفسها:

ـ لعل القادم أفضل.

.....

جلس علي يفكر في مصير ذلك الحيوان المسكين، ثُمَّ نظر إلى لي لي وجدها تنظر إلى المرآة وتصلح زينتها، واندهش من بساطتها وكيف أنها تعيش حياتها دون تعقيد يُذكر؛ فلمحته هي وهو ينظر لها واقتربت منه وسألته:

ـ بماذا تفكر؟

ـ أفكر في كل ما حدث معي ومصير مهمتي.

ـ أو تعلم.. إن هذه الرحلة أصبحت عبئًا عليّ، وأصبحت أندم أشد الندم على قيامي بها، ولولا وجودك معي كنت سأشعر بوحدة وندم شديدين، أرجو حقًا أن توفق في مهمتك؛ فأنت رجل نبيل ولم أقابل شخصًا مثلك من قبل.

ـ أشكركِ.

ـ بل أنا من يجب أن أشكرك؛ فأنت وقفت إلى جانبي عندما كنت منهارة تمامًا.

ثُمَّ سمعت لي لي صوت الهاتف ينبئها بوصول رسالة، وفتحت هاتفها لترى تلك الرسالة فوجدتها من واهب وقد بعث لها بصورة لحيوان جميل وصغير وأسفل الصورة كتب:

ـ هذه هي المفاجأة.

رأته وابتسمت فقد كان ذلك الحيوان جميلًا للغاية فقالت في نفسها:

إنه جميل للغاية.

ولكن مهلًا هل تراه مبتسمًا أم يخيل لها ذلك، ثُمَّ استدركت الموقف وقالت بصوت مرتفع:

ـ إنه ذلك الكوكا.

ونظر لها علي بتساؤل ولم يفهم شيئًا.

فقالت لي لي وهي تبدو متفاجئة:

ـ انظر يا دكتور إنه ذلك الحيوان الذي أخبرتني عنه أليس كذلك؟

نظر علي إلى الصورة وقال:

ـ إنه هو بالفعل، ما المشكلة إذًا؟

ـ لقد بعث لي واهب مدير أعمال أبي فراس بتلك الصورة ليخبرني أن تلك هي المفاجأة التي جهزها أبو فراس من أجلي.

ـ كيف ذلك، هل لكِ دخل بذلك الموضوع؟

ـ بالتأكيد لا، أنا لم أكن أعلم، ولا يرضيني ذلك أبدًا.

ـ بالتأكيد هو مهتم بكِ كثيرًا ليدفع ذلك القدر من المال مقابل ذلك الكوكا المسكين.

ـ مهتم بي! لا أعتقد ذلك، إنه ذلك الشعور بالتملك ليس أكثر؛ فهو لا يستسلم بسهولة لرفضي قربي منه بذلك الشكل الذي يريده، لذلك قرر أن يستميلني بطريقة أخرى.

ـ وماذا ستفعلين؟

ـ عندما نصل سأخبره أنني لن أقبل بتلك الهدية ويدع ذلك الكوكا المسكين وشأنه.

ـ لن تُحل المشكلة بتلك الطريقة.

ـ كيف ذلك؟

ـ المشكلة تكمن في هؤلاء الجماعة الذين اصطادوه ويعرضونه للبيع.. هم لن يتوانوا لبيعه لأحد آخر بأعلى سعر للاستفادة منه.

أخذت لي لي تفكر قليلا ثُمَّ قالت:

ـ خطرت لي فكرة، ما رأيك أن أدع أبا فراس يشتريه لي وبعد ذلك أسلمه لك لتفعل اللازم معه.

ـ فكرة جيدة، ولكن ألن يسبب لكِ ذلك مشكلة؟

ـ لا على الإطلاق أبو فراس لا يهمني لهذه الدرجة، ثُمَّ إنني أستطيع تدبر أمري معه لا تقلق.

ـ لا أعلم كيف أشكركِ.

ـ أنت وقفت إلى جانبي على الطائرة وساندتني، والآن قد حان دوري لأرد لك المعروف.

نظر لها علي بإعجاب وشعر بأنه قد ظلمها عندما قد حكم على شخصيتها واتهمها بأنها شخصية سطحية ولا تتحمل المسؤولية.

.....

استيقظت رشا وأخذت تجهز الفطور من أجل أميرة، ثُمَّ ذهبت لتوقظها فلم تجدها وبحثت عنها في كل مكان دون أثر لها؛ فاتصلت عليها ووجدت هاتفها غير متاح فقالت:

ـ ماذا أفعل.. ماذا أفعل.. أين قد تكون ذهبت؟! فهي لا تعرف أحدًا على الإطلاق سوى أختها.

ثُمَّ خطر لها أن تذهب إلى مدرستها؛ فقد تكون ذهبت إلى هناك أو تواصلت مع أحد هناك من صديقاتها، ولعلّها تصل إليها وقد قررت ألا تخبر لي لي بشيء حتى تتأكد أولًا.

.....

كان هناك على الباخرة ثلاثة رجال مريبين لم يكونوا من ضمن ركاب الطائرة، كانوا يراقبون الركاب جيدًا، والذي كان عددهم قد قل نتيجة اختيار البعض وسيلة مواصلات أخرى. توقفت الباخرة فجأة واقتربت منها باخرة أصغر نزل منها عدة أشخاص، وقد أخذوا يتحدثون مع قائد الباخرة

الكبيرة وانضم إليهم هؤلاء الثلاثة المريبين، وبعد ذلك احتد الحديث بينهم ثُمَّ أشهر أولئك الجماعة السلاح في وجه قائد الباخرة وطالبوه بإحضار جميع راكبي الباخرة، وعندما حاول هو مقاومتهم ورفع سلاحه في وجوههم عاجلوه برصاصة أردته قتيلًا؛ ففزع جميع الركاب وفطنوا لحدوث مشكلة ما ومن بينهم لي لي التي جرت نحو علي وأمسكت بمعصمه بقوة وقالت:

ـ ماذا يحدث؟

ـ انتظري أنتِ هنا وسأرى ماذا يحدث.

كان علي قد فطن لما يحدث بأنه سطو مسلح على الباخرة، وقد يصل الأمر لأخذ رهائن ولكنه آثر الصمت، ولم يكد يخطو حتى شعر بسلاح خلف رأسه فصرخت لي لي وقالت إلى حامل السلاح بفزع:

ـ لا لا.. أرجوك لا تفعل.

فقال حامل السلاح باللغة الإنجليزية:

ـ أخبرها أن تصمت.

ـ حسنًا سأخبرها.

ثُمَّ قال علي للي لي:

ـ اهدئي لن يحدث شيء.

ـ لا أصدقك هذه المرة يا دكتور، أنت تكذب، هناك أمر سيئ سيحدث بالتأكيد.

ثُمَّ أخذت تصرخ بقوة:

ـ ساعدونا.. النجدة.. النجدة.

قال حامل السلاح بغضب:

ـ أخبرتك أن تخرسها وإلا عاجلتها برصاصة لأخرسها أنا.

ـ لا أرجوك إنها مذعورة فقط، هي ليست تشكل أي خطر صدقني..

ثُمَّ توجه علي بالحديث إليها وقال:

ـ أرجوكِ اهدئي يا آنسة، إنه يريدك أن تصمتي وإلا...

ـ وإلا ماذا.. هل سيقتلني؟

ثُمَّ أخذت تصرخ بقوة لعل يأتي أحد وينجدهما؛ فاقترب منها ذلك الرجل، وهَمَّ برفع يده ليضربها فأسرع علي وقام بدفعه بعيدًا عنها، وبعد ذلك لم يشعر علي بما حوله على إثر ضربة قوية تعرض لها فوق رأسه من شخص آخر ثُمَّ وقع أرضًا، وهذه المرة سكتت لي لي تمامًا بعد أن ألجمتها المفاجأة، وأخذت دموعها تنساب على خديها ولم تعرف بمن ستحتمي هذه المرة.

.....

أشهر الخاطفون أسلحتهم في وجه الركاب ودفعوهم ليركبوا الباخرة الأخرى التي قد حضروا بها، وتكفل أحدهم بعلي وقام بجره خلفه لأنه كان فاقد الوعي.

كانت لي لي تضع ذراعها خلف رأسها مثل باقي الركاب، وعندما رأت ذلك الرجل يجر علي خلفه نهرته وقالت له:

ـ كيف تجره خلفك هكذا؟!

لم يعرها هو اهتمامًا وأكمل كما هو، وكانت لي لي تتحدث بالعربية معه ولم تلاحظ أنه لم يفهمها فصرخت به:

ـ لا تجره هكذا.

قال لها الرجل بالإنجليزية:

ـ أنا لا أفهمك يا امرأة، انظري أمامك وامضي قدمًا مثلهم.

فهمت لي لي بعضًا من كلماته فقالت بإنجليزية ركيكة:

ـ أرجوك احمله ولا تجره هكذا.

لاحظ قائدهم ما يحدث فاقترب منهم وقال:

ـ ماذا يحدث هنا؟

أخبره الرجل بما تريده هي؛ فنظر لها القائد وضحك وقال بسخرية:

ـ احمله من أجلها، يبدو أنها تحبه المسكينة.

ـ ولكن ظهري يؤلمني ولا أستطيع حمله.

ـ لم أكن أطلب منك بل آمرك يا غبي.

نظر لها وقال:

ـ هل أنتِ راضية الآن؟ تفضلي تحركي.

ـ إلى أين ستأخذوننا يا سيدي؟ أنا لا أفهم ما يحدث.

ـ الأفضل لكِ ألا تعرفي.

صعدوا جميعًا على الباخرة الصغيرة، وأخذت لي لي تسأل الركاب:

ـ إلى أين يأخذوننا؟

ثُمَّ أجابها أحدهم وقال:

ـ تلك عملية اختطاف وهم يأخذونا كرهائن.

أخذت لي لي تقول:

ـ كنت أعلم أن شيئًا سيئًا سيحدث، أحلامي دومًا على حق، يا لحظك السيئ يا لي لي، ماذا أفعل الآن؟

ثُمَّ أخذت في البكاء وزاد بكاؤها عندما نظرت إلى علي الراقد على سطح الباخرة فاقدَ الوعي دون حراك، وقد كانت تريد الاطمئنان عليه ولكنّ الخاطفين منعوهم من الإتيان بأية حركة.

.....

ذهبت رشا إلى مدرسة أميرة لتسأل عنها ودخلت إلى المديرة وسألتها عنها فقالت المديرة:

ـ أنا لم أرَها منذ أن غادرت معكِ، أين قد تكون ذهبت؟

ـ لا أعلم.. أرجوكِ تحدثي مع صديقاتها ربما يعرفون عنها شيئًا.

وبالفعل استدعت المديرة صديقات أميرة وسألتهم ولكن دون جدوى حيث لم يعرف أحد شيئًا عن أميرة، ولكن كانت هناك واحدة من بينهم قالت أنّ أميرة كانت مستاءة في الفترة الأخيرة من أختها وإهمالها لها، وأنها كانت دائمة البكاء وتشعر بأن لا أحد يهتم لأمرها.

انفردت المديرة برشا وقالت لها:

ـ لا يعلم أحد هنا أين قد تكون ذهبت أميرة، أنا مضطرة أن أخبر أختها

ـ لا أرجوكِ اتركي لي فرصة أن أبحث عنها؛ فأختها مشغولة للغاية وهي الآن خارج مصر.

ـ تلك ليست مشكلتي، هناك فتاة من فتياتي ضائعة ولا نعرف مكانها وأنا لن أسكت على ذلك أبدًا.

ثُمَّ قامت بالاتصال بلي لي فوجدت هاتفها مغلقًا؛ فكتبت لها رسالة مفادها:

أختك كانت برفقة رشا ثُمَّ اختفت، وبحثنا عنها ولم نجدها، هل لكم أية أقارب لنتحرى عنها عندهم؟

وأخذت رشا تدعو الله في سرها وتقول:

يارب استرها.. يارب استرها.

.....

جلس أبو فراس في مكان تصوير الفيلم، وكان فريق العمل يعمل على تصوير المشاهد التي لن تظهر بها لي لي، ثُمَّ قال أبو فراس لواهب:

ـ أتعلم.. ذلك الفيلم ليس له معنى دون وجود لي لي، أين هي لماذا لم تصل إلى الآن؟

ـ واهب: ألم أخبر حضرتك بأن طائرتها هبطت على مطار آخر لظروف طارئة، ثُمَّ بعد ذلك استقلت الباخرة لاستكمال رحلتها إلى هنا.

ـ باخرة! ولكن أليست البواخر تلك غير مأمونة؟

ـ لا تقلق، لقد تحدثت معها قبل تحرك الباخرة، وأخبرتني بأن كل شيء على ما يرام.

ـ ومتى ستصل تلك الباخرة؟

ـ لا أعلم ولكني تحدثت مع مسؤولي الملاحة، وطلبت منهم أن يخبروني بقرب وصول الباخرة حتى يتسنى لي الذهاب إلى هناك واستقبال الفنانة.

ـ لست مستريحًا لذلك التأخير، ثُمَّ إنني لا أثق في ذلك البائع الذي سنشتري منه ذلك الحيوان؛ فهو يماطل في عقد الصفقة ولا أرتاح له.

ـ لا تقلق يا سيدي الرجل أصبح تحت إمرتي، ولن يجرؤ على فعل شيء لأنه يعرف مكانتك وحجمك في الخليج.

ـ حسنًا ولكن يجب أن تحدد معه موعدًا لعقد الصفقة حتى وإن لم تصل لي لي؛ حتى لا تزوغ عينه ويتم الصفقة مع أحد آخر.

ـ حسنًا سأفعل.

وبالفعل لم يُكذب واهب خبر وذهب ليتفق مع البائع ويعطيه مبلغًا من المال من أجل الكوكا، واتفق معه أن يعطيه بقية المبلغ بعد أن يستلم منه الكوكا مفاجأة لي لي من أبي فراس، ولكن كانت هناك مفاجأة سيئة تنتظر أبا فراس مع الأسف.

في المساء جرى واهب إلى أبي فراس في فزع وقال له:

ـ لقد ذهبت بنفسي أسأل مسؤولي الملاحة عن ميعاد وصول الباخرة فقالوا لي أن الباخرة لم تصل، وعندما سألتهم عن السبب أخبروني بأن جميع من عليها اُختطف كرهائن ومصيرهم إلى الآن غير معلوم.

ـ كيف حدث ذلك؟

ـ لقد أخبروني بأنه يوجد هنا مناطق يتركز بها العصابات وإحدى هذه العصابات هي المسؤولة عن ذلك الاختطاف، ولكن لم يعلنوا عن نواياهم ومطالبهم بعد.

ـ يا لأخبارك السوداء يا واهب دومًا تخذلني هكذا.

ـ ليس بيدي يا سيدي، ولكن لا تقلق عند مطالبتهم بفدية سنتفاوض معهم وندفع الفدية ونستعيد الفنانة على الفور.

ـ آمل أن يكون الموضوع بتلك السهولة.

.....

وصلت الباخرة بالرهائن إلى وجهتها الغير معروفة، وأخذ يدفع الخاطفون الركاب أمامهم وهم يضعون ذراعهم خلف رأسهم، وشدد القائد على أن من سيأتي بأية حركة سيقومون بتصفيته على الفور، وكانت لي لي تتظر إلى علي المحمول فاقد الوعي من حين لآخر بحزن ولم تجرؤ على التفوه بكلمة، وقد كانت كل خطوة يخطونها هم بين الأدغال بها رجال حاملين للأسلحة على الجانبين.

وصلوا أخيرًا لخيمة كبيرة ودفعهم الخاطفون للدخول إليها، وفور خروجهم جرت لي لي نحو علي سريعًا، وأخذت تحاول إيقاظه، ورآها أحد الخاطفين فأخذ يضحك عليها فقالت بغضب:

ـ على ماذا تضحكون أيها الحمقى؟ أنتم حقًا دون شعور.

أخذت تحاول إيقاظ علي ولكن دون جدوى، وعندما لم يفِق جلست إلى جانبه على الأرض وكأنها تحتمي به حتى وهو على ذلك الوضع،

مر الوقت ولم تشعر لي لي بنفسها عندما غفت ودموعها على خديها،

أفاقت بعد قليل على صوت أحد الركاب يطلب ماء؛ فأخذ الخاطفون ينهرونه ويقولون بأن وقت الماء لم يحن بعد؛ فأخذت لي لي تقول بغضب:

ـ هل ستمنعون عنا الماء أم ماذا؟ أنا لن أسكت على ما يحدث.

قال أحد الخاطفين بسخرية:

ـ وماذا ستفعلين يا جميلة؟

ترددت قليلًا، ثُمَّ قالت متلعثمة:

ـ هذا حقنا أعطونا ماء.

لم يرد أحد عليها وتركوها فقال لها أحد الرهائن:

ـ لا تحاولي استفزازهم، إنهم مجرمون ولن يتوانوا عن فعل أي شيء.

ـ أنا لا أعلم ماذا يريدون وأخشى على زميلي الراقد هذا، هل يستطيع أي منكم إفاقته؟ لقد حاولت معه ولكن دون جدوى.

قال أحدهم:

ـ دعيني أحاول.

أخذ ذلك الرجل يفحص علي ويقيس نبضه بناءً على خبرته القليلة في الإسعافات الأولية، ثُمَّ نظر إلى لي لي وقال:

ـ اطمئني إنه بخير.

ـ بخير! كيف ذلك؟ إنه فاقد للوعي منذ فترة، وأنا بدأت أقلق.

ـ لا تقلقي سيكون بخير.

أخذت تقول في نفسها:

ـ هذا الرجل يبدو أنه لا يفهم شيئًا، متى ستفيق يا دكتور أنا أوشكت أن أفقد أعصابي؟

دخل أحد الخاطفين بالماء وقاموا بتوزيعه عليهم، وشربت لي لي حتى ارتوت، ثُمَّ طرأ لها أن ترش بعض من الماء على وجه علي حتى يفيق فرآها أحد الركاب فسألها:

ـ ماذا تفعلين؟

ـ أحاول إيقاظه.

ـ ما تفعلينه خاطئ، اتركيه وشأنه، هو سيفيق وحده.

ـ اتركنا أنت وشأننا.

ـ اتركيه.. فأنتِ مجنونة لقد رأينا ما فعلتِه على الطائرة.

ـ وماذا فعلت؟! لقد كنت خائفة فقط.

أخذ بعض الركاب في تأييد ذلك الرجل فيما قاله، وبدأت لي لي تفقد أعصابها مجددًا وتقول:

ـ أرجوكم كفى فأنا خائفة مثلكم وأحاول مساعدة زميلي ليس أكثر.

همت بالفعل في وضع الماء على وجه علي، واقترب أحدهم ليمنعها من ذلك، ولكن كان قد فات الأوان فقد نثرت بعضًا من المياه على وجهه بالفعل، وتعالت صيحات الركاب:

ـ اتركيه وشأنه يا مجنونة.

كادت أن ترد عليهم عندما سمع الجميع صوت علي وهو يقول:

ـ صباح الخير.

قالها بأريحية وكأنه كان نائمًا على سريره وفي منزله.

سكت جميعهم ينظرون إليه وقالت لي لي في سعادة:

ـ دكتور علي هل أنت بخير؟

ـ نعم.. ولكن من أنتِ؟!

ـ ألا تتذكرني أنا لي لي.

ـ لي لي من.. ومن هؤلاء.. وأين أنا؟!

ـ هل فقدت الذاكرة يا دكتور؟! أرجوك تذكر، ألا تتذكر الطائرة.. الباخرة.. الخاطفين؟!

أمسك علي برأسه وشعر بألم وصداع وقال:

ـ رأسي يؤلمني ماذا حدث؟

ـ لقد قام أحد المجرمين بضربك على رأسك عندما كنت تدافع عني، ألا تتذكر ذلك؟

ـ نعم تذكرت، هل أنتِ بخير؟

ـ نعم أنا بخير، ولكن أنت فقدت الوعي لساعات وكدت أجن من الخوف عليك فما حدث لك كان بسببي.

ـ لا تخافي أنا بخير الآن، أين نحن؟

ـ نحن محتجزون في الأدغال، والمكان به الكثير من المجرمين في كل مكان.

ـ يجب أن نهرب من هنا وفي أسرع وقت.

ـ ألم تسمع ما قلته لك من لحظات؟!

ـ نعم سمعت ولكن مهمتي لا تستدعي التأخير كما تعلمين.

ـ نحن في خطر هنا وأنت تفكر في مهمتك، أي عقل هذا!!

ـ لا تقلقي كل شيء سيكون على ما يرام.

ـ هل تستمع لما تقوله.. كيف ذلك؟! لقد أخبرتك من قبل أن أحلامي كلها تتحقق، ومع ذلك لم تصدقني عندما قلت لك أن هناك كارثة ستحدث.

ـ نعم أخبرتِني بذلك، ولكن لم تقُصي عليّ حلمك هذا.

ـ في حلمي كنا نتعرض للخطر مثلما يحدث الآن.

ـ وماذا حدث في نهاية الحلم؟

أخذت تفكر لي لي وتعصر فكرها، ثُمَّ قالت:

ـ تذكرت.. لقد حدثت كارثة في نهاية الحلم.

عندما قالت لي لي لقد حدثت كارثة في نهاية الحلم قال علي:

ـ كارثة أكثر مما نحن بها.. لا أظن ذلك.

ـ ما أتذكره في حلمي؛ لقد كانت هناك نيران وقد ظننت وقتها ونحن على الطائرة أنها ستحترق ولم يحدث ذلك، وأظن أن تلك النار ستح..

قاطعها علي وقال:

ـ كفى.. تفاءلوا بالخير تجدوه.

ـ أنا أخبرك فقط عما رأيته.

ـ انسي ما رأيتِه ودعينا نركز على ما نحن فيه الآن.

ـ معك حق.. أنا أيضًا وضعي أصبح صعبًا؛ فالتصوير سيتوقف كله بسبب غيابي ذلك، إنه فيلمي الأول وها هو من الممكن أن أخسره.

أراد علي أن يعاتبها على تفكيرها السطحي ولكنه آثر الصمت، بعد قليل شعرت لي لي بالجوع وقالت لعلي:

ـ أنا جائعة للغاية، لماذا تأخر الطعام؟

قال علي بسخرية:

ـ سأتحدث إلى إدارة الفندق وأشجُب تصرفهم هذا الآن.

ـ هل تمزح؟ أنا جائعة بالفعل.

ثُمَّ قالت لي لي لأحد المجرمين:

ـ أنا جائعة أين الطعام؟

سمعها باقي الركاب فأخذوا في استعجال الطعام هم أيضًا، ولكن دون فائدة حيث لم يعِرهم أحد انتباهًا؛ فقال لها علي:

ـ هل أنتِ مستريحة الآن؟ لقد كان الجميع صامتين وأنتِ جعلتِهم يتذكرون الطعام.

ـ ولكني بالفعل جائعة؛ فأنا لم آكل على الطائرة خوفًا من أن أتقيأ، هل تذكر ذلك؟

ـ بالطبع أذكر.

كان يتحدث إليها بسخرية، ولكنه رق قلبه لمنظرها وهي تمسك بمعدتها من الجوع فقام واتجه لذلك الرجل الذي كان يقف خارج الخيمة وأخذ يتحدث إليه قليلًا، ثُمَّ عاد بعدها فسألته:

ـ ماذا فعلت، هل طلبت منهم الطعام؟

ـ نعم لا تقلقي سيأتون بالطعام عما قريب.

ـ هل تعلم كلمتك تلك (لا تقلقي) اشتقت إليها كثيرًا عندما كنت فاقد الوعي.

ـ حقًا.. ولكنني لم أكن فاقد الوعي فأنا كنت نائمًا فقط.

ـ بالطبع لا.. كيف تكون نائمًا كل تلك المدة؟!

ـ كنت نائمًا بالفعل؛ فأنا لم أنم منذ يومين، وكدت أنام على الطائرة ولكنكِ لم تتركيني لحالي.

ـ هل تمزح؟ أنت لا تعرف ماذا فعلت معهم من أجلك، أنا لا أعرف حقًا كيف أتتني الجرأة لأتحدث إليهم هكذا، لقد كانوا يسخرون مني بسببك.

ابتسم علي وقال: ماذا فعلتِ؟

أخذت لي لي تقص عليه ما حدث، وكان هو يستمع لها ويضحك بين الحين والآخر؛ فتوقفت عما تحكيه وقالت بغضب:

ـ ماذا يُضحك فيما قلت؟!

ـ لا شيء.. فقط لا أتخيلكِ وأنتِ تقفين أمامهم وتتحدثين إليهم بتحدٍ من أجلي.

ابتسمت لي لي وقالت:

ـ أنا أيضًا لا أتخيل نفسي وأنا أفعل ذلك!!

كانت دقائق قليلة شعرت فيها لي لي بالأمان من جديد إلى جانب علي ولكنها لم تستمر كثيرًا مع الأسف.

.....

وصلت أميرة إلى بلدتهم بكفر الشيخ بعد أن عانت في الطريق كثيرًا نظرًا لأنها لم تكن تخرج لحالها من قبل، وعندما وصلت لقريتهم أخذت تسأل عن عنوان خالتها وحمدت الله أنها مازالت تذكر اسم زوج خالتها. وجدت العنوان بصعوبة وشعرت بقلبها يخفق بقوة وهي تقترب لتطرق باب منزل خالتها.. خالتها التي لم ترَها منذ عشر سنوات مضت، منذ أن كانت طفلة ذات السبعة أعوام، وكانت لي لي وقتها في الثامنة عشر من عمرها وقتما توفي والدهما وتركهما وحدهما دون عائل فقد كانت والدتهما متوفية أيضًا، وقد جاءت وقتها خالتهما فاطمة واقترحت عليهما أن تعيشا معها بكفر الشيخ وتتولى تربيتهما، ولكن لي لي أبت ذلك وقالت بأنها ليست بصغيرة

وأنها ستعمل إلى جانب دراستها بالإضافة لمعاش والدها وبذلك تستطيع الاعتناء بنفسها وأختها، وذلك الحديث لم يكن يستسيغه زوج خالتها الذي كان في نيته أن يقوم بتزويج لي لي لشخص يعرفه ليرتاح باله من ناحيتها، وأما عن أميرة فقد كان أمرها هين لأنها كانت صغيرة وقتها، ولكن لي لي رفضت ذلك الاقتراح بالطبع حتى مع إلحاح خالتها عليها، وأرادت أن تريح بالها من ذلك الأمر تمامًا فأخذت أميرة أختها وقامت بتغيير مسكنهم حتى لا يعرف أحد لهم طريقًا، ومنذ وقتها انقطعت أخبارهم عن خالتهم، والآن تقف أميرة أمام باب منزل خالتها بكامل إرادتها، وهي تعلم جيدًا أن ذلك القرار لن يعجب أختها على الإطلاق .

طرقت أميرة الباب بالفعل ففتحت الباب فتاة صغيرة وقالت لها:

ـ من أنتِ؟

ـ قالت أميرة: أنا أميرة.. أريد أن أرى خالتي فاطمة.

.....

لم تصدق الحاجة فاطمة نفسها وهي ترى أميرة أمامها وقد كبرت؛ أخذتها في حضنها طويلًا وقالت:

ـ أميرة حبيبتي ابنة الغالية.. كيف حالك؟

قالت أميرة وقد اغرورقت عيناها بالدموع:

ـ بخير حال يا خالتي، لقد اشتقت إليكِ كثيرًا، واشتقت لحضنك الدافئ الذي يشبه حضن أمي.

ـ ومن منعك منه يا أميرة، ألم تكن أختك المصونة؟

ـ لا داعي لهذا الحديث الآن ما حدث قد حدث.

ـ سامحها الله حرمتني منكما، أنتما بنات أختي الغالية رحمها الله.

ـ رحمها الله.

ـ وكيف حالها أختك.. هل تزوجت؟

ـ لا لم تتزوج بعد.

ـ كيف ذلك.. أليست في الثامنة والعشرين أم أن ذاكرتي قد خانتني؟

ـ نعم يا خالتي بالفعل.

قالت فاطمة بسخرية:

ـ في الثامنة والعشرين ولم تتزوج بعد، لماذا ألم تجد عريسًا يليق بها؟

ـ كل ما في الأمر أنها لم تجد الرجل المناسب بعد.

ـ هذا نتيجة عدم طاعتها لنا، لقد كان عمك الحاج معه حق وقتها عندما أراد أن يزُوجها، وها هي حتى الآن دون زواج.

ـ هذا الحديث ليس له داعٍ يا خالتي.

دخلت عليهما فتاتان ومعهما بعض الأطفال فقالت فاطمة:

ـ انظري.. هؤلاء هما بنات خالتك، هل تتذكرينهما؟

تقدمت أميرة نحوهما وأخذت تسلم عليهما وقالت:

ـ بالطبع أتذكرهما، فقد كنت ألعب معهما وأنا صغيرة.

ـ صحيح فأنتم لم يكن بينكم وقتها سوى بضعة سنوات، الآن هما متزوجات وهؤلاء الصغار أطفالهما.

ـ ما شاء الله.. ربنا يحفظهم.

ـ عندنا الفتيات هنا يا أميرة يتزوجن في الثامنة عشر وليس الثامنة والعشرين.

فهمت أميرة مغزى حديث خالتها، وشعرت بالقلق ثُمَّ قالت في نفسها:

ـ وأنا أبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، وعلى ذلك الحال أمامي عام على الأكثر لأتزوج.

ثُمَّ بدأت أميرة تفكر أن فكرة مجيئها لخالتها لم تكن الأفضل على الإطلاق.

.....

أحضر الخاطفون الطعام للرهائن، وأخذ الرهائن يأكلون بنهم من شدة جوعهم، أما عن لي لي فقد نظرت إلى الطعام بدهشة وقالت لعلي:

ـ هل تعرف ما هذا؟

ـ إنه بعض من الخضروات هنا عندهم تبدو شكلها غريب قليلًا عما عندنا

ـ حسنًا فلنجرب.

وشرعت لي لي في تناول الطعام، ثُمَّ قالت باستياء:

ـ ما هذا إن مذاقه سيئ للغاية؟!

ـ تذكري أننا لسنا في فندق.

ـ أعلم ولكن الطعام مذاقه سيئ حقًا.

ـ تناولي الطعام في صمت واشكري الله أنكِ لم تكوني رهينة لدى الصين

ـ لماذا.. ماذا عنهم هناك؟

ـ إنهم يأكلون كل ما تتخيلينه ولا تتخيلينه.

ـ أنت تبالغ أليس كذلك، ماذا يأكلون؟

ـ أنا لا أبالغ على الإطلاق؛ فهم يأكلون الضفادع والثعابين والصرا..

لم يكمل فقد أخذت لي لي في التقيؤ بالفعل هذه المرة، وعلت نظرات الاستياء على وجوه الركاب؛ فأخذ علي يعتذر منهم ويقول:

ـ عفوًا إنها فقط مريضة.

وجاء أحد الخاطفين وقال بسخرية:

ـ ماذا يحدث هنا، ألم يعجبها الطعام؟

ـ إنها فقط مريضة وتريد أن تستنشق بعض من الهواء النقي.

ـ هذا صعب.

ـ ألا ترى حالتها؟ بعض من الهواء لن يضر، وأرسل معنا حراسة إذا أردت

ـ سأخبر القائد.

ذهب الرجل وقالت لي لي وقد خرج صوتها بالكاد:

ـ هل أنت مرتاح الآن، لماذا تذكر هذه الأشياء على الطعام؟

ـ أنا آسف، ولكن ما حدث كان في صالحنا.

ـ كيف ذلك؟

ـ سيسمحون لكِ بالخروج لاستنشاق الهواء، وسأطلب منهم أن أرافقك بالطبع.

ـ وماذا بعد ذلك؟

ـ سأحاول التعرف على المكان وأدرسه جيدًا.

ـ لماذا؟!

ـ لنحاول الهروب من هنا.

قالت لي لي بصوت مرتفع: ماذا؟!

.....

كان محمد مساعد دكتور علي ينتظر وصول الباخرة التي كان يستقلها الأخير بعد أن تعطلت الطائرة؛ عندما رأى فجأة حركة غير عادية فأخذ يسأل:

ـ ماذا يحدث هنا؟ هل من أحد يخبرني فأنا أنتظر وصول الباخرة منذ وقت

وأخيرًا أحد ما رد عليه وقال:

ـ لقد اخُتطف كل من كان على الباخرة.

ـ ماذا.. كيف؟!

لم يجِبه أحد فقد كان العاملون كلهم جميعًا على قدم وساق.

ثُمَّ قال محمد في نفسه:

ليتني ما تحدثت إليك يا دكتور وطلبت منك أن تأتي بنفسك إلى هنا، أنا آسف حقًا أنني قد ورطتك في كل هذا.

ثُمَّ لاحت لمحمد فكرة ألا وهي أن يماطل تلك الجماعة التي ستبيع ذلك الكوكا، ولعله ينجح في تعطيلهم إلى أن يرى ماذا سيحدث مع دكتور علي، ودعا الله أن يوفقه في مهمته.

.....

كان صوت لي لي مرتفعًا عندما قالت: ماذا؟!

فقال علي على الفور:

ـ اهدئي ولا تجعليني أندم على مصارحتك بذلك الأمر.

ـ وهل تظن نفسك المحقق كونان لتقوم بذلك دون علمهم؟!

ـ سأحاول على الأقل؛ فأنا لن أظل تحت رحمتهم هكذا خاصةً وأنه من الممكن أن يطول الأمر.

ـ لماذا تقول ذلك، هل تعرف شيئًا؟

ـ كل ما أعرفه قليل عما يحدث في مثل تلك حالات الاختطاف؛ فأنا سافرت كثيرًا كما تعلمين.

ـ وهل تم اختطافك من قبل؟

ـ بالطبع لا ولكن بحكم سفري كثيرًا صادفت بعضًا من الناس ممن تعرضوا للاختطاف.

ـ وهل عادوا إلى بلادهم بعد اختطافهم؟

ـ ألم أقل لكِ أنني صادفتهم، هذا يعني أنهم قد عادوا على خير.

ـ بشرك الله، ولكن هل كانوا يهربون مثلما تريد أن تفعل؟

ـ لا.. كان هناك من يدفع عنهم الفدية.

ـ فدية! وهل تكون مبلغًا كبيرًا؟

ـ بالطبع، ماذا تظنين.

ـ أنا لا أملك مالًا لذلك الأمر.

ـ إنهم في الغالب سيطلبون الفدية من بلادنا.

ـ وماذا سيحدث إن لم تدفع بلادنا الفدية؟

ـ في حالة عدم دفع بلادنا للفدية لن يتركونا مع ذلك، ربما أيضًا يقايضوننا في مقابل مطالب لهم عند حكومتهم هنا.

ـ ليتهم يلبون مطالبهم فأنا أريد أن أخرج من هنا في أقرب فرصة.

ـ عليكِ بالدعاء وبيقين وبإذن الله سيطلقون سراحنا.. لا تقلقي.

أخذت لي لي تفكر في كلامه بشأن الدعاء بيقين عندما أتى ذلك الرجل وقال:

ـ لقد سمح لها القائد بالخروج.

هَمَّ علي بالقيام ليرافقها فأوقفه الرجل وقال:

ـ هي فقط.

ـ قال علي: ولكنها متعبة وأنا طبيبها.

تظاهرت لي لي بالإعياء واستندت على ذراع علي فقال علي:

ـ لا تقلق منا فنحن لن نسبب أية مشاكل فنحن مسالمون تمامًا؛ فأنا طبيب وهي كما ترى مريضة مسكينة.

وافق الرجل على مضض وخرج علي وبرفقته لي لي تستند عليه فهَمَّ الرهائن بالاعتراض فأسكتهم الرجل وقال:

ـ هُم فقط لأنها مريضة وهو طبيبها.

خرجت لي لي هي وعلي من الخيمة تحت أنظار الحراس، وتمكنوا من النظر بصعوبة في بادئ الأمر نظرًا للعتمة التي كانوا بها، ثُمَّ خروجهم للشمس فجأة.

تنهدت لي لي في ارتياح وقالت:

ـ الجو هنا أفضل من الداخل بالتأكيد.

ـ لا تُبدي ارتياحك وتظاهري بالإعياء حتى أدرس المكان قليلًا.

كان علي ينظر فيما حوله ليحاول التعرف على المنطقة وأدرك للوهلة الأولى بأن ذلك المكان يبتعد كثيرًا عن وجهتهم وأنهم قرب الأدغال وليس بداخلها.

نظرت له لي لي في صمت ولمحها علي تنظر له فقال:

ـ بماذا تفكرين؟

ـ أنا أريد أن أسألك شيئًا.

ـ تفضلي.. ما هو؟

ـ كيف تدعو الله بيقين؟

ـ لم يندهش علي من سؤالها حتى لا يحرجها فقال:

ـ سأخبرك ولكن أولًا يجب أن تسمعيني بقلبك.

ـ أسمعك بقلبي! كيف لا أعرف؟

ـ ألم تشعرِ بالحبّ من قبل؟

أخذت لي لي تفكر قليلًا ثُمَّ قالت:

ـ مع الأسف لا فأنا لم أترك الفرصة لقلبي للشعور بالحب تجاه أحد؛ فقد كنت أعدو خلف حلمي ولم أكن أريد أن يعطلني أي شيء.

ـ الشعور بالحب ليس بالضرورة تجاه الجنس الآخر فقط، أقصد الحب عمومًا.

ـ بالطبع أحببت أمي، ولكنها توفيت وأنا صغيرة، وبعد ذلك تعلقت بأبي كثيرًا ولكنه توفي هو أيضًا، وتركني وحدي أنا وأختي الصغيرة، وكنت وقتها في الثامنة عشر من عمري، وتحملت المسؤولية وقررت ألا أتعلق بأحد على الإطلاق؛ فقط تعلقت بنفسي وبأختي وأغلقت على قلبي بعدها بمفتاح.

ـ لقد فهمت الآن سبب عدم شعور قلبك باليقين، أنتِ اعتمدتِ على نفسك في كل شيء، وقمتِ بعيش حياتك ظنًا منكِ أنكِ صاحبة الفضل على نفسك وكل ما يحدث في حياتك، ونسيتِ أن الله من يحسن التدبير.

ـ ولكني لست سيئة كما تظن، أنت لا تعلم ما مررت به لأصل لما أنا فيه الآن.

ثُمَّ أخذت لي لي في البكاء وحاول علي تهدئتها، ولكنها أطلقت العنان لدموعها التي لم تسمح لها بالخروج من قبل، وقالت بصوتٍ باكٍ:

ـ لقد كنت وحدي تمامًا ومسؤولة أيضًا عن طفلة صغيرة؛ كنت أنا بمثابة أمها.

قال علي بتأثر:

ـ أتفهم تمامًا ما مررتِ به.. أرجوكِ اهدئي.

لكنها لم تهدأ وعاودت البكاء دون توقف، واقترب الحارس منهما وسأل علي: ما بها؟

أخذه علي جانبًا وقال له:

ـ إنها مريضة نفسيًا وأنا أعالجها، إنها في حالة انهيار عصبي الآن وأنا أحاول أن أسيطر على الأمر.

ـ كان الله في عونك، إنها تبدو متعبة كثيرًا.

ـ لن تتخيل الأمر؛ فأنا لا أنام بسببها، وحياتي انقلبت رأسًا على عقب بسببها أيضًا.

ـ تبدو ممن يخلصون لعملهم.

ـ إنه عملي وليس لديّ غيره.

كان علي سعيدًا لأنه قد كسب تعاطف ذلك الرجل، وكان ذلك يصب في مصلحتهم وسيفيده كثيرًا في تنفيذ خطته المجهولة.

.....

في أحضان الطبيعة الجميلة جلس المخرج في تأفف وقال:

ـ إلى متى سننتظر الكونتيسة لي لي؟ أنا سئمت الانتظار وانتهينا بالفعل من جميع المشاهد التي كانت ستصور من دونها، ماذا سنفعل الآن؟

ـ واهب: الفنانة على وصول ستأتي قريبًا، هي تأخرت بسبب ظروف طارئة.

ـ أنا لا أعلم سبب تمسك أبي فراس بها؛ فهي لا تمتلك موهبة فريدة من نوعها وهناك من هنَّ أفضل منها بالتأكيد.

ـ سيدي يرتاح لها ويجدها مناسبة لذلك الدور كثيرًا، لا تشغل بالك أنت بتلك الأمور.

ـ أنا لم أشكُ وحدي، الجروب كله بدأ يتأفف مما يحدث.

ـ تحدث معهم وهم سيسمعون لك، وحاول تهدئتهم كما فعلت معك أنا الآن.

اندهش المخرج وقال بعد مغادرة واهب:

ـ ولكنه لم يفعل معي شيئًا.

ترك واهب المخرج وذهب إلى أبي فراس الذي سأله:

ـ ما الجديد يا غرابي؟

ـ سامحك الله، أنا غراب!

ـ أخبرني أنك تحمل خبر سعيد وسأقوم بتغيير لقبك عل الفور.

حكَ واهب رأسه وقال:

ـ لا ليس هناك خبر سعيد، ولكنه ليس بيدي.

ـ أنت من اقترحت السفر إلى تلك البلد المشؤومة.

ـ وحضرتك وافقت على اقتراحي يا سيدي، ووقتها كان يبدو اقتراحًا ملائمًا لم نكن نعرف ما سيحدث، كله في علم الله.

ـ ليتني ما وافقت، لقد أخبرتني وقتها أن التصوير هنا أقل تكلفة، وأن المكان مناسب تمامًا حتى أستطيع أن أنفرد بالفتاة وحدي وأشتري لها ذلك الحيوان من أجل عيد ميلادها ونحتفل وننسجم وغيره..

ثُمَّ أكمل أبو فراس بحسرة:

ـ كلها كانت أحلامًا أصبحت الآن كوابيسَ.

ـ سنستعيد الفنانة بإذن الله وكل شيء سيكون على ما يرام.

ـ آمل ذلك.

.....

فور أن غادر الحارس أخذ علي يحاول تهدئة لي لي، وبالفعل هدأت قليلًا وسألته:

ـ عن ماذا كنت تتحدث مع ذلك الرجل؟

ـ كنت أخبره بأنكِ مريضة نفسيًا وأنا أعالجك.

ـ ماذا؟! أنت تماديت كثيرًا، لماذا أخبرته بذلك؟

ـ لأكسب تعاطفه.

ـ تكسب أنت تعاطفه وأصبح أنا المجنونة.

ـ هل يهمك بماذا يظنون عنكِ نحن لن نطول هنا.

ـ إن كان الأمر كذلك فلا بأس، ولكنني اكتشفت الآن بك خصلة الكذب.

ـ أنا لم أكن أكذب.

ـ وماذا فعلت منذ لحظات هل كنت تتجمل؟!

ـ أنا كنت أخبرهم بنصف الحقيقة فقط؛ فأنتِ بالفعل كنتِ متعبة بالداخل في الخيمة، وأنا كنت أحاول مساعدتك؛ تمامًا مثلما يفعل الطبيب، ومنذ قليل أنتِ كنتِ منهارة تمامًا، وأنا كنت أحاول تهدئتك أيضًا، أنا لم أكن أكذب في الحقيقة؛ فأنا أكره الكذب.

ـ أصدقك تمامًا فأنت تبدو لي بالفعل من أولئك الناس المثاليين الذين لا يخطئون، أما أنا فبلى، هل تعلم.. أنا لا أسامح نفسي قط؛ فأنا آخر اتصال قمت به قبل أن تبحر الباخرة كان لواهب حتى أسأله عن نوع المفاجأة التي يحضرها من أجلي أبو فراس؛ بدلًا من أن أتحدث إلى أختي التي تركتها في مدرستها الداخلية، وخلفت وعدي لها بزيارتها لأحتفل معها بعيد مولدي، أنا إنسانة سيئة للغاية أليس كذلك؟

لم يعرف علي بما يجيبها؛ فهو إن وافقها ستنهار مجددًا وإن أخبرها عكس ذلك سيكون منافقًا، وهذا ما لم يفعله من قبل في حياته، ولم يجد حلًا سوى أن يغير من دفة الحديث فقال:

ـ هل عيد مولدك قريبًا؟

ـ عيد مولدي بعد أيام ولكن بيري حبيبتي دومًا تحتفل به مبكرًا معي قبل أي أحد آخر.

ـ تبدو إنها تحبك كثيرًا.

ـ وأنا أيضًا أحبها كثيرًا ولكنّني لست ممن يستطيعون التعبير عن مشاعرهم؛ لذلك هي تظن أنني لا أكترث لأمرها، ولكنّني أحبها وأحاول تدليلها بأن أحضر لها كل ما تريده، ولكن مع ذلك هي غير سعيدة، إنها حتى تكره تدليلي لها باسم آخر غير اسمها.

ـ فور عودتك يجب أن تخبريها بما في قلبك، هذا ليس ضعفًا منكِ أو عيبًا إنه الاهتمام الذي تريده هي منكِ فأعطيه لها، ولا تتواني عن التعبير عن مشاعرك لها.

ـ بالرغم من صعوبة ذلك لكنني سأحاول.

ـ هل تعرفين ماذا أريد الآن؟

ـ ماذا؟

ـ أريد أ ن أسمع أغنية للفنانة نجاة الصغيرة.

ـ ماذا؟!

ـ ويا حبذا لو كانت أغنية (أنا بستناك) أو (فاكرة).

أخذت لي لي تضحك وتقول:

ـ يبدو أنك تهذي يا دكتور.

نظر علي أمامه ولمعت عيناه ولاحت ابتسامة على وجهه فقالت لي لي:

ـ يبدو أنك تهذي بالفعل، ما سر تلك الابتسامة؟!

ـ عندما يكون ذهني صافيًا أشتاق لسماع الفنانة نجاة، وأنا الآن ذهني صافٍ تماماً، وقد وجدت الحل لخروجنا من هنا.

ـ حقًا.. هل تتحدث بجدية؟!

ـ بكل تأكيد.

ـ كيف ذلك؟

ـ لن أستطيع أن أخبرك فأنتِ لستِ مضمونة.

ـ هكذا.. أنا غاضبة منك حقًا، ولن أتحدث إليك مرة أخرى.

فاجأها علي بقطفه لزهرة برية، ثُمَّ انحنى وأعطاها لها، نظرت له ونالت حركته تلك إعجابها وأرضت غرورها وقالت:

ـ سأسامحك فقط لأنني أعشق الورود، وبالرغم من أن تلك الوردة ليست بأجمل وردة ولكنها المتاحة وتفي بالغرض.

ابتسم علي ابتسامة عريضة وقال:

ـ أرجو أن تهتمي بها جيدًا لأنها السبيل لخروجنا من هنا.

نظرت له في دهشة وقالت:

ـ تلك! كيف ذلك؟!

.....

عندما لم تستطع رشا الوصول للي لي اتصلت بواهب وسألته:

ـ أين لي لي أريدها في أمر هام؟

ـ ما هو؟

ـ أختها ضائعة ولا نستطيع إيجادها، وقد حاولت أن أتصرف وحدي ولكن دون فائدة.

ـ أختها ضائعة! الحال من بعضه.

ـ ماذا تقصد؟

ـ الفنانة أيضًا ضائعة.

وقصَّ واهب على رشا كل شيء، وبعد انتهائه قالت رشا:

ـ إنها مصيبة.. يا لحظك التعس يا لي لي لقد كان ذلك الفيلم فيلمها الأول، كان الله في عونها.

ـ كان الله في عوننا جميعًا.

.....

نظرت لي لي إلى الزهرة في دهشة وقالت:

ـ كيف تلك الزهرة هي سبيلنا للخروج من هنا؟!

ـ عليكِ أن تخفضي صوتك أولًا.

ـ حسنًا.. هيا أخبرني.

ـ تلك الزهرة هي نوع نادر من النباتات الذي يسبب النعاس.

ـ وهل ستقوم بتنويم كل أولئك بتلك الزهرة كيف ذلك؟! كلامك غير معقول بالمرة.

ـ فضلًا اتركي لي التفكير في ذلك الأمر، ولعله خير.

بعد ذلك قامت مجموعة الحراسة بإدخالهم إلى الخيمة من جديد، وأخذ القائد يتفحص جوازات السفر الخاصة بهم بعد أن استولوا على حقائبهم من قبل.

أخذ ينادي القائد على اسم كل صاحب جواز السفر ومن ثُمَّ يقوم بحديث صغير معه على أثره يحدد كيف ستتم المطالبة بالفدية، وجاء دور علي الذي استدعاه القائد وأخذ يسأله على تفاصيل عنه وعن بلده وجاوبه علي بالفعل، وبعد ذلك عاد إلى مكانه بجانب لي لي وطمأنها بأن الأمر لا يتعدى بعض الأسئلة، ثُمَّ أخذ القائد ينادي على اسم فتاة تُدعى (علياء أحمد) وفي بادئ الأمر لم يستجب أحد، ثُمَّ فوجئ الجميع بلي لي تقول:

ـ عذرًا لم أنتبه.. إنه اسمي.

وذهبت إلى القائد ليسألها كغيرها، وعندما عادت نظر لها علي باندهاش فقالت:

ـ ماذا.. لماذا تنظر إليّ هكذا؟

ـ من تكون علياء تلك؟

ـ إنها أنا.

ـ ومن أين جاء اسم لي لي هذا؟

ـ إنه اسم الشهرة وأيضًا يلائمني كممثلة.

ـ ولماذا لم تذكري لي اسمك الحقيقي من قبل؟

ـ لقد نسيت تمامًا؛ فقد اعتدت على اسم لي لي.

ـ ألم تشعري بالغرابة ولو قليلًا فيما يتعلق باسمي واسمك؟

ـ ولمَ ماذا عنهما؟

ـ أنتِ علياء وأنا علي.

ـ نعم بالفعل إنه مثل الموسيقى علياء وعلي.

ـ رُحماك يا الله.. كل هذه المدة ولم تنتبهي لتلك المصادفة!!

ـ لا.. فأنا بالكاد أتذكر علياء هذا.

ـ ولمَ؟

ـ لأنه اسم قديم وليس جميلًا على الإطلاق.

ـ على العكس تمامًا، إنه لاسم جميل حقًا وقيم للغاية، إنه اسم يدل على العلو والرفعة، جعل الله لكِ نصيبًا من اسمك.

ـ لم أكن أعرف معناه من قبل.

ـ إنه أيضًا اسم لملكات وأميرات.

ـ حقًا! لا أصدق.

وأخذ علي يقصُّ عليها مَن مِن الملكات والأميرات تحملن اسم علياء وكانت هي تنصت له في اهتمام واضح.

.....

تواصلت جماعة الخاطفين مع حكومات بلاد الرهائن لإتمام عملية دفع الفدية، وتوصلوا بالفعل لاتفاق معهم؛ فيما عدا اثنين هما علي ولي لي، وبعدها اجتمع القائد بالبقية وأخذ يتناقش معهم.

قال لهم القائد:

ـ كل رهينة من أولئك حكومتها مستعدة لدفع الفدية عنهم عدا ذلك العربيان الذكر والفتاة التي معه؛ فحكومتهما لم ترد بعد وكأنها غير مهتمة

ـ ليس الأمر كذلك، هم بالتأكيد يهتمون ولكن ظروف بلدهم صعبة نوعًا ما.

ـ وما الحل إذًا؟

ـ لقد تركت خبرًا لبعض معارفنا بذلك الموضوع حتى نستشيرهم فيه وسيتم الرد قريبًا.

نظر القائد ناحيتهما وقال:

ـ حسنًا سننتظر قليلًا، ثُمَّ نرى ما سنفعله معهما.

.....

دخل واهب على سيده في عجلة وقال:

ـ هناك أخبار يا سيدي.

ـ تكلم.. لعله خير.

ـ لقد تواصلت مع بعض الناس هنا لهم علاقة بالعصابات وقد جاءهم خبر عن وجود رهائن يشملهما عربيان ذكر وأنثى.

ـ وما أدراك أنها هي؟

ـ لقد تتبعت تاريخ الاختطاف وكان هو، إنها هي الفنانة بالتأكيد.

ـ وماذا ينتظر الخاطفون، لماذا لم يطلبوا فدية بعد؟

ـ لقد طالبوا بها بالفعل من حكومات كل بلد، وتواصلوا مع مصر ولم يرد عليهم أحد إلى الآن؛ فهم مازالوا يفكرون في الأمر.

ـ وماذا نفعل نحن؟

ـ ندفع لها نحن الفدية.

ـ وكم قدرها؟

ـ مائتان وخمسون ألفًا.

ـ ماذا! هذا كثير للغاية، هل تريدني أن أدفع هذا المبلغ؟!

ـ من الممكن أن أتواصل معهم وأطالبهم بتخفيض المبلغ.

ـ لو استطعت فعل ذلك سأدفع، ولكن حينها لن أشتري ذلك الحيوان، تكفي الفدية، أنا لن أدفع أكثر من ذلك.

تلعثم واهب وهو يقول:

ـ ولك.. لكن يا سيدي أنا دفعت بالفعل نصف المبلغ لتلك الجماعة في مقابل ذلك الحيوان وسنستلمه عما قريب.

قال أبو فراس بغضب:

ـ ولماذا فعلت ذلك؟

ـ بناءً على كلامك يا سيدي عندما قلت لي أن ذلك الرجل غير مضمون ويجب أن أتفق معه سريعًا حتى لا يقوم بالبيع لأحد آخر.

ـ هذا كثير.. ما سأدفعه كثير للغاية على تلك الفتاة.

ـ ماذا تفكر يا سيدي هل ستغير رأيك؟

لم يرد أبو فراس عليه، وأخذ يفكر في الأمر.

.....

كان علي يجلس مهمومًا يفكر في مصير الكوكا المسكين وتمنى إن حدث وباعته تلك الجماعة أن يبيعوه لأبي فراس هذا؛ لأن هذا أهون، في تلك الأثناء اقتربت منه لي لي فسألها:

ـ ماذا سيحدث بعد أن تقبلي هديتك من أبي فراس؟

ـ تقصد الكوكا.. لن أفعل شيئًا سأصور الفيلم وأعود لبلدي ولن أقوم بالسفر مجددًا.

ـ لم أقصد ذلك قصدت ماذا ستفعلين مع أبي فراس نفسه؟

ـ لم أفكر بعد.

ـ ألم تحسمي موقفك تجاهه بعد؟

ـ ليس هناك أي موقف، أنا أحاول أن أستغل نفوذه فقط لأصل إلى ما أريد.

ـ ولكن ما تفعلينه ليس صحيحًا، أخشى أنكِ مخطئة.

ـ ومن أنت لتحكم عليّ؟

ـ أنا لا أحكم عليكِ، فأنتِ مثل أختي وأخشى عليكِ مثلما أخشى عليها.

ـ وهل لديك أخت؟

ـ نعم ولكني لا أراها كثيرًا؛ فهي تعيش في كندا مع زوجها وأطفالها، وعندما يأتون إلى مصر في إجازة لا أتركهم أبدًا فهم حياتي.

ـ وأين والدك ووالدتك؟

ـ توفيا فأنا يتيم مثلك.

ـ ألست متزوجًا؟

ـ لا لم أتزوج بعد، وذلك ما يضايق أختي كثيرًا؛ فهي تريد أن تطمئن عليّ بأن أتزوج وتكون لديّ أسرة مثلها حتى لا أظل وحيدًا.

ـ ولماذا لم تتزوج فأنت لست بصغير؟

ضحك علي وقال:

ـ ولست بكبير أيضًا فأنا في أوائل الثلاثينات، إن المشكلة تكمن في طبيعة عملي الذي يستدعي السفر كثيرًا، وذلك بالطبع لا تقبله الكثير من الفتيات.

ـ وهل حاولت من قبل؟

ـ بالطبع ولم أستمر في أي ارتباط أكثر من شهر.

ـ ذلك وقت قصير للغاية، لماذا لم تكن تصبر؟

ـ لم أكن أنا من ينهي العلاقة كُنَّ هنَّ دومًا.

ـ لا أعلم كيف تفكر الفتيات هذه الأيام فأنت شخص رائع؟!

قال علي بسخرية:

ـ إنهم يفكرون مثلك.

ـ وبماذا أفكر أنا؟

ـ تفكرين بمبدأ الفرصة التي لا تعوض.

ـ أنت تحكم عليّ مرةً أخرى، أنت لا تعلم شيئًا عما مررت به في حياتي.

ـ أنا لم أكن أقصد.

ـ أنت لا تعلم حقًا ما مررت به من ظروف لأصل لما أنا فيه الآن، وبالطبع لن تتصور ذلك لأنك من هؤلاء الناس المرفهة التي لم تذق طعم الفقر والظلم.

همت أن تغادر في غضب فاستوقفها علي وقال:

ـ انتظري.. أنا لم أكن أقصد حقًا.

كانت قد غادرت بالفعل وجلست في ركن وحدها حيث لم يكن أحد من الركاب يستلطفها، وندم علي لأنه تكلم معها على هذا النحو ولكن قد فات الأوان.

.....

حاول علي بعد ذلك أن يتقرب من ذلك الرجل الذي قد تعاطف معه من قبل.

فكان يتحدث إليه كثيرًا، وذات مرة ذهب معه خارج الخيمة واختفى، وقتها اغتاظت لي لي فقد كانت تود أن تعرف ما يدور بينهما، وعندما عاد علي كان قد غاب فترة قليلة فاقترب من لي لي وقال لها:

ـ أمازلتِ غاضبة مني؟

ـ نعم بكل تأكيد.

ـ أنا آسف حقًا.

ـ لن أتحدث إليك مع ذلك.

ـ ليس هناك وقت لهذا، عليكِ أن تسمعيني جيدًا، أنا وجدت السبيل للهروب من هنا.

نظرت له بتساؤلٍ فقال:

ـ الطعام الذي سيقدمونه اليوم سيكون مختلفًا بالتأكيد؛ فأنا من قمت بإعداده.

ـ حقًا! أنت لم تخبرني من قبل بأنك ماهر في الطبخ.

ـ لي لي أرجوكِ كفى، أنا أتحدث بجدية الآن.

نظرت له بدهشة وقالت:

ـ إنها المرة الأولى التي تناديني بها باسمي دون ألقاب.

قال علي بنفاد صبر:

ـ أعتقد بعد كل ما حدث لم نعد في حاجة لتلك الألقاب.

ـ معك حق ماذا كنت تقول؟

ـ أنا قمت بإعداد الطعام برفقة الشخص الذي سمح لنا بمغادرة الخيمة من قبل.

ـ هل فعلت ذلك من أجلي لأنني لا أستسيغ الطعام هنا.. أشكرك.

ـ لقد أوهمته بذلك بالفعل، ولكن في الحقيقة أنا فعلت ذلك من أجل خطتنا، لا تأكلي من الطعام اليوم؛ فأنا وضعت به منومًا، هل تذكرين تلك الزهرة التي أخبرتكِ من قبل عنها؟

ـ نعم أتذكرها.

ـ لقد أخذت حفنة منها وقمت بغليها ووضعت منها في الطعام اليوم لأجرب إن كانت ستقوم بتنويم من سيأكل منها أم لا.

ـ هل تعني اختبارًا؟

ـ نعم.. وتذكري لا تأكلي من الطعام اليوم، وإن فلح الأمر فسأضعها لهؤلاء المجرمين في طعامهم بعد ذلك.

ـ ولكن ألا تخشى أن تؤذي هؤلاء الناس فقد تكون الزهرة سامة؟

ـ لا على الإطلاق، أنا متأكد أنها ليس بها أي ضرر، أنا فقط أريد أن أختبر المقدار الذي سأستخدمه منها.

ـ هل أنت واثق بتلك الخطة؟ أعد التفكير في الأمر.

ـ أنا واثق تمامًا بأن الله لن يضيعنا.

ـ بإذن الله.. ولكن كيف أقنعت ذلك الرجل بدخولك المطبخ؟

ـ لقد وطدت علاقتي به وأخبرته بأنكِ تأكلين طعامًا معينًا من أجل حالتك؛ فسمح لي أن أُعد الطعام معه، ولم يكن من الصعب التسلل ووضع المنوم به.

ـ علي.. إن حدث ذلك وخرجنا من هنا بالفعل؛ فأنا سأكون مدينة لك بحياتي.

ـ ألستِ غاضبة مني؟

ـ لا لست غاضبة فأنت ربما تكون محقًا فيما قلت.

ـ ربما! حقيقةً أنا لم أقابل أحدًا مثلك من قبل؛ فأنتِ لا تعترفين بخطئك بسهولة.

ـ ولن تقابل بالطبع؛ فأنا واحدة لم ولن أتكرر.

ـ معكِ كل الحق في ذلك.

جاء الطعام وأكل منه الجميع عدا علي ولي لي، ثُمَّ انتظر علي نتيجة عمله بفارغ الصبر.

.....

بعد أن نام الجميع شعر علي بالفرح وقالت له لي لي:

ـ أنت عبقري حقًا يا دكتور، لقد صدقت في كل كلمة قلتها، صدقًا أنا لم أكن أتوقع أنك بتلك العبقرية.

ـ أشكرك ولكن ما حدث كان بمحض المصادفة؛ فأنا عندما رأيت نبات (الفاليريان) عرفت على الفور فائدته، وحمدًا لله لم يكن يعرف عنه أي من الخاطفين شيئًا.

ـ وكيف عرفت أنت؟!

ـ أنا درست قليلًا في علم النباتات، وحمدًا لله فقد أفادني ذلك.

ـ ولكن كيف ستقوم بتنويم تلك العصابة كلها؟! إنهم كُثر.

ـ أعلم ذلك ولكن لا تشغلي بالك أنتِ فقد خططت لكل شيء، وذلك الرجل سيدعني غدًا أيضًا أعد الطعام من أجلك كما ادعيت، ولأساعده

قليلًا، فقد كان سعيدًا برفقتي له في المطبخ، وأخذ يقول لي أنني خفيف الظل.

ـ أنا لم أقابل من قبل شخصًا مثلك! كم كنت أود أن نلتقي في ظروف أفضل.

ـ ستكون الأحوال أفضل بإذن الله.. تفاءلي خيرًا.

ـ ولكن..

ـ ليس هناك ولكن، وحاولي نسيان ذلك الحلم المزعج بالله عليكِ.

ـ سأحاول.

وقد كانت تلك المرة الأولى التي تحاول بها لي لي تصديق شيء آخر غير حدسها وتتغاضى عما تشعر به.

باتت لي لي تلك الليلة دون أن تنام فقد كانت مشغولة الفكر، ونظرت إلى علي وجدته نائمًا، وشعرت بالغرابة من حاله كيف ينام قرير العين هكذا خاصةً وأنه سينفذ تلك الخطة غدًا، أخذت تقول في نفسها:

ـ مؤكد ذلك بسبب يقين قلبه، وثقته في الله كما أخبرني من قبل، كم كنت أود أن أكون مثله لا ألقي بالًا لأي شيء طالما الله معي في كل وقت وكل حين.

.....

استيقظ علي واستيقظ أغلب الرهائن أيضًا ووجد علي لي لي مستيقظة وعينيها مرهقة فسألها:

ـ ماذا بكِ ألم تنامي بالأمس؟

ـ لم أستطع النوم من القلق.

ـ ألم أخبركِ بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

ـ نعم ولكن تلك هي طبيعتي صعب أن أقوم بتغييرها.

ـ لا تقلقي سنخرج من هنا على خير.

ـ هل تريد أن تخرج من هنا فقط من أجل ذلك الكوكا؟

ـ ليس من أجله فقط، من أجل كل الرهائن أيضًا.

قالت لي لي بدهشة:

ـ هل ستأخذ معنا جميع الرهائن؟!

ـ نعم بالطبع.

ـ لقد ظننت أننا سنهرب وحدنا.

ـ لا أستطيع ذلك؛ ضميري لن يسمح لي.

ـ ولكن أنت بذلك تعرض الخطة للفشل، لماذا تفعل ذلك وفي مقدرة حكومتهم دفع الفدية عنهم؟

ـ أنا لن أتركهم خلفي وأُخدر ضميري بتلك الكلمات.

ـ يا دكتور من فضلك أعد التفكير جيدًا، أنت بذلك تخاطر بنا من أجلهم، ألا تخشى أن يعرقلونا ولا نستطيع الهرب بسببهم؛ وقتها ستتأخر على مهمتك التي جئت من أجلها.

ـ أرواح البشر عندي أهم بالتأكيد من ذلك الحيوان، الضرورة تحكم.

نظرت له لي لي بدهشة فهي لم ترَ أحدًا مثله من قبل يفكر بتلك المثالية؛ فهي تعلم جيدًا أن معه حق بالتأكيد فيما قاله، ولكن هي كانت تفكر من مُنطلق منطق آخر، وأخذت تدعو الله أن يخرجوا من ذلك المكان على خير.

.....

غاب علي تلك المرة مع ذلك الرجل وعندما عاد سألته لي لي على الفور:

ـ ماذا فعلت، هل وُفقت؟

ـ نعم حمدًا لله.

ـ وهل مازلت مُصرًا على رأيك؟

ـ وما الذي سيجعلني أغيره؟

ـ حسنًا.. أدعو الله أن نخرج من هنا على خير.

بعد الغداء وبعد أن تأكد علي من نوم الخاطفين اقترب من لي لي وقال:

ـ نحن جاهزون الآن.. هيا بنا.

ـ انتظر.. كيف تعلم أن جميعهم قد خلدوا للنوم بالفعل؟

ـ أنا لا لست متأكدًا بالطبع، ولذلك سنأخذ حذرنا ونحن نهرب.

ـ كيف سنأخذ حذرنا مع كل ذلك العدد؟

ـ سنأخذ حذرنا ونتكل على الله.

بعد ذلك اتجه علي إلى الرهائن وأخذ يتحدث إليهم عن خطة الهروب وكانت لي لي تنظر إليه من بعيد وهو يتناقش معهم، ثمَّ وجدتهم ينظرون إليها، ثمَّ علي أيضًا، وبعد ذلك أكمل معهم النقاش وكان واضحًا أنّ هناك شيئًا ما

مختلفون عليه، وحاولت لي لي الاقتراب منهم لتفهم ما يحدث فأشار لها علي من مكانه بعدم الاقتراب وقال:

ـ انتظري مكانك.

بدأت لي لي تشعر بالقلق، واستنتجت أن ما يعترضون بشأنه شيء يخصها هي، ثُمَّ بعد قليل عاد علي فسألته على الفور:

ـ ماذا حدث وعن أي شيء هم معترضون؟

ـ هم معترضون على مجيئك معنا.

ـ نعم! ولماذا؟

ـ يقولون أنكِ ستفضحين أمرهم وستحبطين خطة هروبنا، ولا يريدون مرافقتك لهم.

ـ وأنت ماذا أخبرتهم؟

سكت علي قليلًا وأخذ ينظر إليهم ثُمَّ لها، وهَمَّ بقولِ شيءٍ.

.....

جلست أميرة وقد كانت مترددة أن تتحدث إلى أختها أم لا، وفي النهاية حنَّ قلبها لأختها وقررت الاتصال بها، ولكن عن طريق هاتف خالتها؛ فقد قررت ألا تفتح هاتفها حتى لا تستطيع رشا أن تصل إليها.

حاولت أميرة الاتصال بلي لي أكثر من مرة دون جدوى واستبد بها القلق عليها بالرغم مما فعلته معها؛ وأخذت تتذكر سفر لي لي دون أن تخبرها

وكأنها لا تهمها، وتذكرت الهدية التي كانت تجهزها من أجلها، والاحتفال التي كانت تعده من أجل عيد ميلادها.

جاءت خالتها فاطمة ورأتها ساهمة على ذلك النحو فجلست إلى جانبها وسألتها:

ـ ماذا بكِ يا حبيبتي؟

ـ لا شيء يا خالتي.

ـ أميرة.. أنا تركتك الأيام الماضية دون أن أسألك على أي شيء، ألم يحن الوقت بعد أن تخبريني بما أريد معرفته؟

ـ ما الذي تريدين معرفته يا خالتي؟

ـ كيف كنتم تعيشان حياتكما الفترة الماضية، وكيف كانت أختك تعتني بكِ؟

ترددت أميرة قليلًا؛ فقد كانت مازالت غاضبة من أختها وأفعالها معها وبالرغم من ذلك كانت لا تريد خسارتها، ثُمَّ قالت في النهاية:

ـ كانت لي لي تعتني بي يا خالتي لا تقلقي.

ـ ومن أين كنتما تنفقان؟

ـ هي تعمل فنانة ونحن نعيش في أحسن حال.

ـ فنانة!! وهل كانت تتركك وحدك في المنزل أثناء ما كانت في العمل؟

ـ بالطبع لا؛ فقد أودعتني مدرسة داخلية حتى تكون مطمئنة عليّ

قامت فاطمة من جلستها بعصبية وقالت:

ـ مدرسة داخلية! كيف ذلك وهل أنتِ مقطوعة من شجرة لتودعك مدرسة داخلية؟!

ـ إنها فقط كانت تخشى أن تتركني وحدي لأنها كانت تسافر كثيرًا بحكم عملها لذلك فعلت ذلك.

ـ إنها فتاة مستهترة حقًا، وأنا عندما أراها سأفعل معها اللازم، أين هي الآن؟

ندمت أميرة لأنها تحدثت مع خالتها وقالت:

ـ إنها خارج مصر ولكنها ستعود قريبًا.

ـ أريد أن أتحدث إليها أعطيني رقم هاتفها.

ـ لقد حاولت الاتصال بها ولكن هاتفها مغلق.

ـ وهل تعرف أنكِ عندي؟

ترددت أميرة أن تخبرها وفي النهاية قالت:

ـ نعم إنها تعرف وستأتي لتأخذني عندما تنتهي من عملها.

ـ تأخذك.. لا أظن ذلك فأنا لن أسمح لها.

شعرت أميرة بالقلق وقالت: لماذا؟

ـ لأنها لا تستحقك وسوف أحاسبها على كل ما فعلته في حقك وفي حق نفسها أيضًا.

تركتها خالتها في حيرة شديدة، وفي النهاية قررت أن تفتح هاتفها وتتحدث إلى رشا، وبالفعل اتصلت بها وردت رشا عليها وسألتها:

ـ بيري أين كنتِ ولماذا هربتِ مني؟

ـ هذا موضوع يطول شرحه، أنا أريد أن أصل لي لي بأسرع وقت.

ـ ولكن هذا غير ممكن.

ـ لماذا؟

ـ لأن.. لأن لي لي لا أعلم لها مكانًا حقًا، لي لي اخُتطفت كرهينة.

قالت أميرة بجزع:

ـ ماذا.. كيف حدث ذلك؟!

ـ لقد تحدثت إلى طاقم العمل الذي كانت ستصور برفقتهم وأخبروني بأنها اخُتطفت هي وركاب الباخرة التي كانوا يبحرون بها.

ـ وكيف لم يذيعوا ذلك الخبر بعد؟

ـ إنهم يتكتمون عليه ولا أعلم السبب في ذلك.

ـ رشا.. هل أنتِ متأكدة مما تقولينه؟

ـ نعم مع الأسف.

قالت أميرة في انهيار:

ـ لي لي أختي.

ثُمَّ سقطت مغشية عليها.

.....

كانت دقائق قليلة انتظرت فيها لي لي جواب علي عليها لكنها عدت كالدهر عليها، نظر علي إلى لي لي ثُمَّ قال:

ـ أنا أخبرتهم أنني لن أغادر من دونك.

قالت لي لي وقد تهلل وجهها:

ـ أشكرك دكتور علي أنت رجل نبيل حقًا.

ـ ولكنهم قرروا أن يغادروا معنا من هنا، وبعد ذلك سنفترق هم وحدهم ونحن وحدنا بالرغم من أنني قد أخبرتهم أنني من الممكن أن أفيدهم في الطريق نظرًا إلى خبرتي البسيطة، ولكن معهم شخص يدعي أنه سيخرج بهم من هنا على خير وأنه يعرف الطريق جيدًا ولن يحتاجونني معهم.

ـ هم يعترضون على وجودي أنا معهم ولست أنت، وأنا لا أريد أن أعيق سيرك.

ـ لا على الإطلاق، أنا أريد المصلحة العامة فقط وأنا عرضت عليهم مساعدتي وهم رفضوا، هذا اختيارهم.

ـ هم يظنون أنني سأعيق سيرهم وهم معهم حق.

ـ لا تقولي ذلك وأنا لن أغادر من دونك، المهم الآن أن تنجح خطة هروبنا ونخرج من هنا على خير، هل أنتِ مستعدة؟

ـ نعم.

ـ هيا بنا.

خرج علي برفقة لي لي وكان بقية الرهائن خلفهم، وكان علي قد شدد على الجميع توخي الحذر وعدم الإتيان بأي صوت.

مشوا ببطء في حذر، ثُمَّ تناهى إلى مسامعهم صوت من بعيد وكان علي يعلم جيدًا أن بالتأكيد ليس الكل قد خلد إلى النوم؛ فمنهم من لم يتناول طعامه بعد، واصلوا المشي في صف خلف بعضهم في هدوء، ثُمَّ سمعوا صوتًا لإطلاق النيران فقال علي:

ـ لا تجزعوا واهدؤوا ولا تصدروا أي صوت.

لكنهم لم يسمعوا له، وأخذوا في الجري مسرعين، وأمسكت لي لي في كتف علي وقالت:

ـ هل نجري مثلهم؟

ـ لا نحن سننتظر هنا.

ـ ولكني أكاد أسمع وقع أقدام المجرمين خلفنا.

ـ لذلك نحن لن نتحرك من هنا.

نظرت له في تساؤل وشك؛ فقد كانت تريد أن تذهب مع باقي الرهائن ولكنها مع ذلك لا تريد ترك علي، ولا تعلم أي منهما على صواب فوقفت مكانها تفكر في حيرة ماذا عليها أن تفعل.

.....

دخل واهب على أبي فراس وقال له:

ـ سيدي.. أريد أن أستشيرك في أمر.

ـ تفضل يا غرابي.

ـ الكوكا بعد أن استلمناه من ذلك الرجل كان بصحة جيدة، ولكن منذ يومين لم يعد يلعب.

ـ ما هذا الهراء، وما شأني أنا بذلك؟

ـ إنه مريض يا سيدي.

ـ اعرضه على طبيب إذًا.

ـ عرضته بالفعل، والطبيب أخبرني أنه مريض، ولكنه يحتاج إلى أحد يفهم في مثل حالته نظرًا لأنه نادر وليس أي طبيب يقوم بمعالجته.

ـ استشر ذلك الرجل الذي اشتريناه منه إذًا.

ـ فكرة جيدة بالفعل يا سيدي.

ـ أو لم تخطر على بالك من قبل، أنا لا أعلم لماذا أُبقي عليك؟

.....

وقفت لي لي لا تعلم ماذا تفعل، ثُمَّ وجدت علي يأخذ بيدها ويختبئ خلف شجرة كبيرة، وأخذ بعضًا من الأغصان وورق الشجر وقام بتغطيتهما بها تمامًا فسألته:

ـ وهل سيجدي ذلك؟

ـ آمل ذلك.

أصبحت وقع أقدام المجرمين واضحة، ثُمَّ سمع الاثنان صوتًا لإطلاق النيران، وبعد ذلك صوت صراخ، والذي كان بالطبع عائدًا للرهائن والذين عادوا جميعًا بصحبة الخاطفين من نفس المكان الذي كانا يختبئان به علي ولي

لي، وسمع علي أحد الخاطفين وهو يسأل الرهائن عنهما فأجاب أحدهم وقال:

ـ لقد هربوا من ذلك الطريق.

وأشار لهم هذا الرجل على الاتجاه المعاكس، ثُمَّ حثهم الخاطفون على الإسراع، وأخذ بعضهم يبحث عنهما في الجهة الأخرى.

بعدها سألته لي لي بصوت خفيض:

ـ لماذا ضللهم ذلك الرجل عن مكاننا؟

ـ إنه بالتأكيد يأمل أن نهرب من هنا، ونأتي لهم بالعون ويجب أن نستغل تلك الفرصة، هيا بنا سنتحرك الآن.

بدأ الاثنان في الجري بسرعة من الجهة الأخرى عكس اتجاه الخاطفين في البحث عنهم.

كان علي يسرع ولي لي تجري تلهث خلفه، ثُمَّ لم تعد تستطيع ملاحقته وأخذت تقول:

ـ لم أعد أستطيع الجري، ذلك الحذاء لا يساعدني.

ـ اخلعيه إذًا.

ـ وماذا لو دخل شيء في قدمي؟

ـ لا يوجد خيار آخر يجب أن نسرع، من الممكن أن يصلوا إلينا في أية لحظة.. هيا.

أخذ يحثها على الإسراع وقطعوا مسافة ليست بكبيرة فوقفت لي لي مجددًا وقالت:

ـ لقد نال مني التعب يا دكتور.

ـ لم نبتعد كفاية يجب أن نكمل.

تحاملت لي لي على قدمها وأخذت تجري وفي تلك المرة كان علي يمسك بيديها ويجري بها، شعرت لي لي بالإرهاق الشديد وكادت أن تقع مرات عديدة لولا إمساكه بها، ثُمَّ سمع نحيبها وهي تبكي فتوقف وسألها:

ـ ألهذه الدرجة أنتِ متعبة؟

ـ إنها قدمي لقد جُرحت.

ـ أريني إياها.

نظر علي إلى قدمها فرآها وقد سالت الدماء منها فقال:

ـ لماذا لم تخبريني بأن قدمك جُرحت؟

ـ أنت قلت أنّنا لم نبتعد كفاية وخشيت أن تقول عليّ أنني مدللة.

لم يقف عند كلامها كثيرًا، ثُمَّ أخذ يبحث بين الشجر والأزهار إلى أن وجد ضالته، وجلس إلى جانبها يداوي جُرحها.

كانت تتأوه من الألم ثُمَّ قالت:

ـ أنا ظمآنة بشدة.

ـ سنصل إلى المياه عما قريب.. لا تقلقي.

ابتسمت لكلمته وحاولت أن تصدقه، نظرت حولها وسألته:

ـ هل نحن في الأدغال الآن؟

ـ نعم نحن بداخلها الآن.

قالت في قلق:

ـ وهل توجد حيوانات هنا؟

فهم مغزى سؤالها فقال:

ـ لا أعتقد أنه توجد حيوانات مفترسة هنا.. لا تقلقي.

ـ أرحت قلبي فأنا أخاف بشدة من الحيوانات المفترسة.

قال علي بضحك:

ـ هل هو رهاب الحيوانات المفترسة أيضًا؟

ـ أتمزح وتسخر مني، وهل ذلك ذنبي أن قلبي ضعيف؟

ـ أنا آسف حقًا لم أكن أقصد أن أسخر منكِ.

ـ دكتور علي.

ـ نعم.

ـ عندما كان الركاب لا يريدون مرافقتي لهم، أنت وقتها لم توافقهم ما كان السبب في ذلك؟

فكر علي قليلًا ثُمَّ قال:

ـ لأنني وعدتك أن أوصلك بنفسي إلى أصدقائك، وأنا لا أنكث بوعدي.

رق صوتها وهي تقول:

ـ هل هذا هو السبب فقط؟

قال علي بتساؤل:

ـ وهل ترين سببًا آخر؟

ـ قالت في غيظ: لا أبدًا

ـ سأتركك تستريحين قليلًا وأذهب أنا في الأنحاء القريبة من هنا أبحث عن المياه أو مخرج لنا.

ـ لا تتركني وحدي.

ـ لن أتأخر.. سأحاول أن أكسب وقت حتى ترتاحي أنتِ قليلًا.

ـ هل تعدني أنك ستعود؟

ـ أعدكِ.. ولكن أرجو منكِ ألا تصدري أي صوت حتى آتي.

ـ أعدك.

ذهب علي وكادت لي لي أن تطلب منه عدم الذهاب، ولكنها خشيت أن يقول عليها مدللة وغير مسؤولة، أو ربما لأنها تشعر في قرارة نفسها بأنها كذلك بالفعل، وبأنها أصبحت حملًا عليه، ولأنه رجل نبيل لا يصرح بذلك.

أخذ علي يمشي في الغابة ويبحث عن الماء أو أي مظهر للحياة قريب وفجأة سمع صوت خلف الحشائش فتأهب لظهور ذلك الشيء، ثُمَّ ظهر له أرنب فابتسم له وقال:

ـ هل أنت من أخافني كذلك؟ كم اشتقت إليكم أيتها الكائنات الرقيقة ومضى في طريقه مجددًا، ثُمَّ فجأة قطع سكون الغابة صوت لصرخة مدوية،

وكان هذا الصوت يعرفه جيدًا، أخذ يفكر في أنها ربما تكون قد صرخت بسبب شيء تافه كعادتها، ولكنه أعاد التفكير ثانيةً وقال في نفسه:

ـ ماذا لو كان الأمر حقيقيًا وحدث لها شيء سيئ بالفعل، وشعر بقلبه ينبض بقوة خوفًا عليها، ثُمَّ قرر العودة من حيث أتى ليرى ما حدث لها، وكان في قرارة نفسه قلقًا على غير العادة، وأخذ يدعو الله في سره:

ـ لعله خير.

.....

لم تجد فاطمة سوى ابن شقيق زوجها مصطفى والذي كان في السنة الخامسة من كلية الطب لتستدعيه ليرى ما بها أميرة، دخل مصطفى الغرفة التي كانت أميرة راقدة على سرير كبير بها وسأل فاطمة:

ـ ماذا حدث يا خالتي؟

ـ لقد وقعت فجأة مغشية عليها دون سابق إنذار.

ـ ومن تكون هذه الفتاة؟

ـ انها ابنة أختي الراحلة.

نظر مصطفى إلى أميرة واندهش عندما رأى دموعها تنساب على خديها وهي فاقدة الوعي فقال:

ـ هل تعرضت لأي ضغط عصبي مؤخرًا؟

ـ لا يا بُني كانت بخير.

أخذ مصطفى يفحص نبضها ثُمَّ قال:

ـ هل جرب أحدكم أن يحاول إفاقتها برائحة نفاذة؟

ـ لا يا بُني.. لقد توقف عقلنا عن التفكير عندما رأيناها هكذا.

ـ أريد رائحة نفاذة في الحال.

ذهبت فاطمة لتحضر ما طلبه، وعادت على الفور وهي تحمل بين يديها ثمرة بصل كبيرة الحجم، وضعتها أسفل أنف مصطفى وقالت:

ـ تفضل يا بُني.

دمعت عين مصطفى إثر رائحة البصل وقال:

ـ ما هذا يا زوجة عمي؟! أنا كنت أقصد عطرًا نفاذًا.

ضحكت بناتها على ما حدث فنهرتهم فاطمة وأتت بالعطر؛ فأخذه مصطفى منها وقربه من أنف أميرة التي بدأت تهمهم وتقول بصوت باكٍ:

ـ علياء.. أختي.. أين أنتِ.. أريد أختي، ثُمَّ بدأت تحرك وجهها يمينًا ويسارًا، ثُمَّ فتحت عينيها أخيرًا لتجد شابًا وسيمًا قريبًا من وجهها يبتسم إليها ويقول:

ـ الحمد لله على سلامتك يا آنسة، كيف تشعرين الآن؟

ـ قالت بأريحية: بخير حال.

ثُمَّ انتفضت من مكانها عندما أدركت أنها نائمة على السرير، وذلك الشاب يجلس على طرفه، وقالت بذعر:

ـ من أنت؟

ـ أنا مصطفى.

ـ مصطفى من؟

جلست خالتها إلى جانبها وضمتها إلى حضنها وقالت:

ـ أميرة حبيبتي ماذا حدث لكِ؟

ـ إنها علياء أختي، لقد اخُتطفت يا خالتي.

شهقت خالتها وضربت بيدها على صدرها وقالت:

ـ ماذا ومن خطفها؟

اخُتطفت هي ومن معها من ركاب، وأخذوهم كرهائن ولا أحد يعلم عنهم شيئًا.

تدخل مصطفى وقال:

ـ وكيف عرفتِ بالأمر؟

ـ من رشا مديرة أعمالها، هي اتصلت بزملائها هناك في أستراليا وعلمت منهم الموضوع.

ـ أعطيني رقم رشا هذه وأنا سأتواصل معها وأتقصى عن الموضوع.

ـ أشكرك.. ولكن من أنت؟

ـ أنا مصطفى ابن عمهم.

ثُمَّ قال لهم جميعًا:

ـ لا تقلقوا أنا سأتقصى عن الموضوع بنفسي.

قالت فاطمة:

ـ وفقك الله يا بُني.

وأخذت أميرة تدعو الله أن تعود لي لي على خير.

.....

انتشر خبر اختطاف الرهائن في أستراليا ووصل الأمر لطاقم التصوير، واستاء الجميع وخاصةً المخرج لأنّ أبا فراس أخفى عليهم الأمر، اجتمع طاقم التصوير وأخذوا يتحدثون عن الأمر، وقرروا أن يتحدثوا مع أبي فراس، وذهبوا إليه بالفعل وقال له المخرج:

ـ لماذا لم تخبرنا من قبل بما حدث مع الآنسة لي لي؟

ـ نحن علمنا بالأمر متأخرًا، ثُمَّ ماذا كنتم ستستفيدون بمعرفتكم للأمر؟

ـ على الأقل كنا سنقدر موقفها ولا نلومها مثلما كنا نفعل.

ـ أنت كنت متذمرًا من قبل حتى أن تركب هي طائرتها وتأتي إلى هنا.

ـ ما حدث من البداية كان خطأ، المهم الآن أن نساعدها في محنتها.

ـ وكيف ذلك؟

ـ ندفع لها الفدية.

ـ وكيف ستدفعون ذلك المبلغ؟! إنهم يطلبون مائتين وخمسين ألفًا.

ـ نحن سنحاول جمع مبلغ من بعضنا وأنت أيضًا يجب أن تساعدنا.

ـ أنا لم أتأخر ولكن نحن لم نكن نعلم لها طريق، ولم نعرف مع من نتواصل.

ـ قال واهب: نعم بالفعل لقد بذل سيدي مجهودًا كبيرًا لنصل لأية معلومات تخصها، ونحن اقتربنا من الوصول لتلك الجماعة التي اختطفتها هي ومن معها.

ـ المخرج: وماذا تنتظرون؟ يجب أن نحررها منهم.

ـ أبو فراس: هذا ليس فيلمًا ستخرجه، الموضوع ليس بتلك السهولة، وعلى العموم نحن سنفعل ما بأيدينا.

غادر الجميع فسأل واهب سيده:

ـ هل ستدفع يا سيدي؟

ـ ليس هناك مفر من ذلك، حاول أنت فقط أن تتواصل معهم وتقوم بخفض المبلغ قليلًا.

ـ لقد سبق وتواصلت معهم بالفعل، وأقنعتهم بمائة وخمسين ألفًا بعد مفاوضات كثيرة، هل أنت راضٍ هكذا؟

ـ وهل هناك حل آخر؟ لقد أصبح أمرَ واقع وإلا الناس ستأكل وجهي وتلومني في حالة عدم دفعي.

ـ حسنًا سأذهب من فوري لأخبر معارفي بالأمر لينجزوه.

ـ ولكن أولًا تأكد أنك ستستلمها وليست مجرد خدعة.

ـ لا تقلق العصابات هنا كلمتها واحدة ونزيهة للغاية.

ضحك أبو فراس وقال في سخرية:

ـ ومنذ متى والعصابات نزيهة؟! ندعو الله أن نستردها على خير دون مشاكل تذكر.

ـ بإذن الله.

.....

كانت أميرة تبكي على أختها عندما دخلت عليها خالتها وقالت:

ـ مصطفى هنا ويقول أنّ لديه أخبارًا عن موضوع خطف أختك.

ـ حقًا.. أين هو؟

ـ فاطمة: تفضل يا مصطفى.

دخل مصطفى وعيناه لا تفارقان الأرض وقال:

ـ السلام عليكم.

ـ قالت الاثنتان: وعليكم السلام.

ثُمَّ قالت أميرة بلهفة:

ـ هل لديك أخبار بالفعل عن أختي؟

ـ نعم.. لقد تحدثت إلى رشا وأخذت منها رقم أحد طاقم التصوير، وتحدثت إليه وتقصيت عن الأمر، وعلمت أن خبر الرهائن قد انتشر بالفعل في أستراليا، وقد تجمع طاقم التصوير والمنتح وقرروا دفع الفدية لأختك.

ـ حقًا ما تقول؟!

ـ نعم.

ـ ليس هناك داعٍ للقلق سيتم دفع الفدية وستعود أختك على خير.

ـ فاطمة: أراح الله قلبك يا ولدي.

قالت أميرة تحدث نفسها:

ـ أختي علياء.. آمل أنكِ بخير وتعودين لنا في أقرب وقت.

.....

أخذ علي يجري مسرعًا عائدًا إلى لي لي، وقد نال منه القلق مبلغه، وعندما وصل أخيرًا وجدها على الأرض تتأوه من الألم فأقبل نحوها في لهفة وقال:

ـ ماذا حدث؟

قالت بأنفاس متلاحقة:

ـ لقد هاجمني ثعبان ولدغني في قدمي، أنا آسفة أنني صرخت فقد كان ذلك رغمًا عني.

كان منظرها متعبًا بالفعل فألقى علي نظرة على قدمها فعرف على الفور نوع الثعبان الذي لدغها وماهية سمه، ولم يجد سوى الطريقة التقليدية بامتصاص السم من قدمها عن طريق فمه، فعلها أكثر من مرة وكانت هي تحاول ألا تصرخ من الألم، انتهى علي وقال:

ـ لقد أخرجت أغلب السم من قدمك ينقصنا فقط عشبة معينة وأنا قد لمحت مثلها في طريقي إلى هنا، ولكنني لن أتركك وحدك هذه المرة.

ـ ولكنني لا أستطيع المشي.

لم يتردد علي وقام بحملها وأخذ يسرع بها. فقالت هي:

ـ أشكرك لاهتمامك حقًا، وأنا آسفة أنني كنت عبئًا عليك طوال تلك الرحلة.

ـ ليس هذا وقته.

بدأت عينيها تغفل فقال:

ـ لا تستسلمي للنوم ابقي معي.

ـ أحاول ولكنني لا أستطيع.

ـ اصبري قليلًا كدنا أن نصل.

تحاملت على نفسها وقالت:

ـ لا تنسَ عند حدوث أي مكروه لي اعتني بأميرة أختي.. عدني بذلك.

ـ كما أخبرتك من قبل لن يعتني بها أحد غيرك.

ـ قالت بصعوبة: عدني بذلك.

ـ قال ليريحها: أعدكِ.

وجد علي العشبة أخيرًا فوضع لي لي برفق على الأرض، وأخذ يداوي مكان لدغة الثعبان بها، كانت دقائق معدودة وبعد أن انتهى نظر إليها وجدها قد غفلت، لم يجد ما يفعله سوى أن يحملها مرة أخرى وأخذ يسرع بها ويبتعد قدر الإمكان حتى لا يعثر الخاطفون عليهما، مشى علي بها طويلًا وتمكن منه التعب والإرهاق، ثُمَّ وجد مكانًا بين الأشجار وضع به لي لي وجلس إلى جانبها، كان في حيرة من أمره هل يتركها ويذهب للبحث عن ماء خاصةً وقد بدأت حرارتها في الارتفاع؛ أم يظل إلى جانبها خوفًا من

حدوث شيء آخر، وبعد تفكير طويل فضل علي ألا يتركها وحدها، ولكن عندما ارتفعت حرارتها بشكل ملحوظ قرر أن يبحث عن الماء، مضى قدمًا في طريقه، ثُمَّ رأى بعضًا من الطيور تحلق في السماء قريبة منه فرجح وجود الماء بالقرب منه، وبعد عدة خطوات بالفعل لاح له من بعيد المياه؛ فأسرع نحوها في فرح وشرب حتى ارتوى، وبعد ذلك حارَ أين قد يعبئ الماء من أجل لي لي؛ ففكر أن يقوم بغسل حذائه جيدًا ثُمَّ قام بملئه بالماء، وعاد من فوره إلى لي لي، والتي كانت لا تزال نائمة فجلس إلى جانبها يحاول خفض حرارتها بالماء فهدأت الحرارة قليلًا، ثُمَّ ارتفعت مرة أخرى؛ فأعاد الكرة إلى أن انخفضت تمامًا، ثُمَّ غفت عيناه واستسلم للنوم إلى جانبها.

.....

استيقظ علي ليجد لي لي لازالت نائمة، وحاول هو إيقاظها ولكنها لم تفق، جلس ينظر إليها ويحدثها وهي نائمة ويقول:

ـ أفيقي يا لي لي.. أفيقي فأنا أشعر بالوحدة من دونك.. أفيقي واملئي الدنيا بوجودك وصوتك الذي اشتقت له.. أفيقي ولن أشتكي منكِ بعد الآن.. أفيقي أرجوكِ ولن أعاتبك على أي شيء.

توقف عن الحديث عندما سمعها تهمس بصوت خفيض؛ فاقترب منها وقال:

ـ لي لي هل أنتِ بخير.. أجيبيني.

أخذت تهمس بكلمات غير مفهومة فدنا منها أكثر وسمعها تقول:

ـ أشعر أن شيئًا سيئًا سيحدث.

عند سماعه لها وهي تقول تلك الكلمات أخذ في الضحك للمرة الأولى من تلك الجملة التي بات لا يسمع غيرها مؤخرًا، وقال بفرح:

ـ أخيرًا أفقتِ.

ـ أين أنا.. وماذا يحدث؟

ـ نحن في الأدغال، الحمد لله على سلامتك.

ـ ماذا حدث؟

ـ ألا تتذكرين.. ذلك الثعبان الذي..

انتفضت لي لي وقالت:

ـ أين هو..

ـ لا تقلقي لقد ابتعدنا كثيرًا ولن نصادف أي شيء.

ـ هل نمت كثيرًا؟

ـ أنتِ كنتِ فاقدة للوعي لوقت طويل.

ـ أنا لم أكن فاقدة للوعي؛ فأنا كنت نائمة، أنت تعلم أنني لم أنم منذ أن كنا في الخيمة من كثرة التفكير.. هل تذكر؟

ـ هل تريدين إقناعي بأنكِ كنتِ نائمة ولستِ فاقدة للوعي، هل تقومين بتقليدي؟

ـ قالت مازحة: نعم.

ـ كم اشتقت لخفة ظلك.

ـ حقًا!

ـ حقًا.

سكتت قليلًا، ثُمَّ قالت:

ـ هل تعلم أن اليوم هو عيد مولدي؟

ـ كل عام وأنتِ بخير.

ـ أشكرك.. إنها لمصادفة غريبة أن يكون يوم عيد مولدي هو نفسه يوم نجاتي وقد كُتب لي عمر جديد.

ـ حمدًا لله.. الحمد لله على سلامتك.

ـ هل كان يُخيل إليّ أنك كنت تتحدث إليّ بتوسل وأنا نائمة، ماذا كنت تقول؟

ـ لا شيء.

ـ حسنًا.. ماذا سنفعل الآن؟

ـ إن كان في استطاعتك المشي سنستكمل مسيرتنا حتى نصل لمكان آمن

ـ ألم تقابل أي أحد بعد في طريقك إلى هنا؟

ـ لا ولكن أشعر أننا اقتربنا من الوصول للعمار.

ـ حسنًا.. أشعر أنني أصبحت بخير هيا بنا.

ـ هل أنتِ متأكدة؟

ـ نعم.. هيا بنا.

ثُمَّ أخذ الاثنان يتمشيا سويًا وكانت لي لي تعرج بقدمها قليلًا.

.....

منذ أن توصل واهب للعصابة وهو يحاول التفاوض معهم عن طريق معارفه وقد استقروا في النهاية على دفع المبلغ المتفق عليه، ولكن بالنسبة للخاطفين كانت هناك مشكلة كبيرة تقابلهم، حيث لم يكن علي ولي لي بحوزتهم مما جعلهم يكثفون البحث عنهم لإيجادهم بأي شكل حتى يقوموا بإتمام الصفقة، وبالفعل انتشرت مجموعات منهم في كل الأنحاء وكثفوا بحثهم وتتبعوا آثارهم في الأدغال، وتمكن أحدهم بالفعل من تتبع أثرهم واستمر خلفه وقد كان قريبًا بالفعل منهما.

.....

توقف علي عن المشي فسألته لي لي:

لماذا توقفت؟

ـ أظنني أسمع أصواتًا قريبة من هنا.

ـ هل اقتربنا من الخروج من هنا.

ـ يبدو ذلك، ولكن هل في إمكانك أن تسرعي أكثر من ذلك.

ـ سأحاول.

لم ترد أن تخبره بأنها متعبة وأسرعت في خطاها بالفعل، وبعد قليل شعرت لي لي بالتعب، ولاحظ علي ذلك فقال لها:

ـ سنرتاح هنا قليلًا.

ـ خيرًا فعلت فأنا تمكن مني التعب بالفعل.

أخذ علي يستطلع المكان حوله، ثُمَّ لاحظ رائحة لنار مشتعلة فسأل لي لي:

ـ هل تلاحظين رائحة لنار مشتعلة؟

ـ نعم.. وأعتقد أن الرائحة تزيد.

ـ أخشى أن..

لم يكد علي يقولها حتى بصر أمامه نارًا مشتعلة فسألته لي لي:

ـ ما تلك النيران ومن أين أتت؟

ـ أخشى أنها حرائق الغابات التي تحدث نتيجة الحرارة المرتفعة.

ـ وماذا سنفعل، هل نحن محاصرون هنا؟

ـ هيا معي سنجد مخرجًا حتمًا.

أمسك علي بيديها بقوة وأخذ يجري بها هنا وهناك يلتمس طريقًا للخروج، كانت النيران تحاصرهما من كل مكان، ونظرت له لي لي في يأس وقالت:

ـ هل انتهى أمرنا؟

لم يرد عليها فقالت له:

ـ أرجوك قُلها.

نظر لها بتساؤل فقالت: قُلها.. (لا تقلقي)

ـ لا تقلقي

قالها علي وقد خرجت هذه المرة من فمه لا بقلبه، ثُمَّ فجأة سمع الاثنان صوتًا لإطلاق النيران، وأخذت لي لي تصرخ رغمًا عنها، ثُمَّ لاح لهم رجال

يحملون الأسلحة الذين اقتحموا المكان بالرغم من النيران الكثيفة، وألقوا على علي ولي لي بالأغطية الثقيلة وأخرجوهما من وسط النيران، وأخذوهما معهم في سيارة كبيرة.

أخذ رجل منهم علي جانبًا وقال له شيئًا في أذنه فتجهم علي بعدها وفور أن ركبوا السيارة قالت لي لي:

ـ حمدًا لله.. شكرًا جزيلًا لكم لقد أتيتم لنجدتنا في الوقت المناسب.

نظرت لي لي إلى علي الذي لم يتفوه بكلمة، وكان يبدو عليه القلق فسألته:

ـ ما بك لماذا لا تشكرهم على ما فعلوه معنا، هل أنت بخير؟

ـ إنهم هم.

ـ من هم.. ماذا تقصد؟

ـ إنهم مجموعة الخاطفين.

ألجمتها المفاجأة ولم تعرف ماذا تقول؛ فقد كانوا منذ قليل يواجهون الموت والآن هم يواجهون مصيرًا آخر مجهولًا.

.....

ذهبت رشا إلى أميرة بعد أن أعطاها مصطفى العنوان، وفور أن رأتها أميرة ارتمت في حضنها وقالت:

ـ أشكرك يا رشا لأنكِ أتيتِ من أجلي.

ـ أنا لا أستطيع أن أتأخر عنكِ.. أنتِ مثل أختي.

ـ أشكرك يا رشا.

ـ لماذا هربتِ مني، هل ضايقتكِ في شيء؟

ـ أنا لم أكن أهرب منكِ، أنا كنت أهرب من لي لي وأفعالها معي، كنت أريد أن أنتقم منها، ولكن عندما علمت بما حدث لها ندمت كثيرًا؛ فأنا ليس لديّ غيرها.

ـ ستعود إلينا على خير.

ـ آمل ذلك.. فأنا لا أستطيع العيش من دونها.

ـ ستعود يا حبيبتي قريبًا بإذن الله، هل يعاملونكِ هنا جيدًا؟

ـ خالتي فاطمة تحبني كثيرًا، ولكنها بالطبع غاضبة من لي لي، وكانت تنوي لها شيئًا عند عودتها ومجيئها إلى هنا.

ـ أنا لا أفهم.

ـ سأخبرك بكل شيء.

وجلست رشا تستمع لها باهتمام.

.....

بعد أن غادرت رشا جلس مصطفى مع أميرة بعد أن استأذن من خالته فاطمة وقال لها:

ـ أشعر أن رؤيتك لرشا جعلتكِ تتحسنين قليلًا.

ـ نعم بالفعل.. رشا صديقة أختي وأنا معها أشعر أنني قريبة منها

ـ خالتي أخبرتني أنكِ لا تأكلين ولا تنامين أيضًا، وهذا خطر عليكِ فأنتِ ضعيفة وأخشى أن تمرضي وتقعي منا مرة أخرى، يجب أن تعتني بنفسك قليلًا، هل تعدينني بذلك؟

ـ سأحاول.

وكانت أميرة تشعر بالسعادة في طيات نفسها لاهتمام أحد بها بهذا الشكل.

.....

وصلت السيارة التي كانت تقِل علي ولي لي إلى وجهتها وقد قاموا بتغيير المكان، وكانت هناك حراسة مشددة أيضًا.

قاموا بإدخالهم إلى مكان يشبه الكهف وقد كانوا وحدهما تمامًا هذه المرة وليس هناك وجود لبقية الرهائن.

جلست لي لي إلى جانب علي وقالت:

ـ علي لماذا أنت صامت هكذا.. تكلم.. أين بقية الرهائن.. هل تعتقد أن بلادهم دفعت لهم الفدية وعادوا من حيث أتوا؟

لم يرد علي فقالت:

ـ ماذا بك.. لماذا لا تتحدث إليّ.. هل فقدت الأمل؟ لا أرجوك أنا لا أحتمل رؤيتك على هذا الحال.. فأنت من يعطيني الأمل.. أنت من جعلتني أنظر إلى الدنيا من منظور آخر.. أرجوك تحدث إليّ.

ثُمَّ شرعت لي لي في البكاء، وهاله بكاؤها فخرج عن صمته وقال:

ـ لا تبكي.. فأنا لا أحتمل رؤيتك وأنتِ تبكين.

ابتسمت وقالت:

ـ وأنا لا أحتمل رؤيتك هكذا، دكتور علي الذي أعرفه لا يستسلم ولا ينهزم بتلك السهولة.

ـ ومن أين أتيتِ بكل تلك الثقة؟

ـ نحن قد جمعتنا رحلة واحدة إلى مكان واحد مصادفة، وفي تلك الأثناء تعرضنا للكثير من المتاعب معًا، وكنت أنت دومًا خير العون لي، أنا لا أعرف حقًا من دونك ما كان سيحدث لي؟ أنت جعلت لديّ أمل وهذا شيء جديد عليّ بكل تأكيد، لي لي تغيرت يا دكتور.

ـ لي لي؟

ـ أقصد علياء.

ـ وأنا لن أخذلك أبدًا.

ابتسمت وقالت:

ـ هل سنحاول الخروج من هنا؟

ـ نعم بكل تأكيد.. لا تقلقي.

ابتسمت وشعرت بالأمان من جديد.

.....

ذهب محمد مساعد دكتور علي إلى ذلك الرجل الذي يحتجز الكوكا وقد قرر أن ينفذ خطته لعله ينجح في تأجيل بيع الكوكا.

فور أن رآه الرجل قال:

ـ أنت من جديد.. ألا تستسلم أبدًا؟

ـ بالطبع لا فهذا عملي.

ـ يعجبني إصرارك.

ـ لقد أتيت إليك بعرض سينال إعجابك بالتأكيد، لقد وافقت المحمية على دفع مبلغ لك مقابل الكوكا.

ـ أخشى أنك قد تأخرت.

ـ قال محمد في قلق: كيف؟

ـ ذلك الكائن لم يعد بحوزتي الآن؛ فقد قمت ببيعه لشخص ما وقبضت ثمنه.

ـ ماذا؟ من هو هل من الممكن أن تصلني به؟

ـ لا مع الأسف هذا مستحيل.

ثُمَّ قال محمد محدثًا نفسه:

ـ لقد ضاع دكتور علي هباءً.

تحدث واهب إلى الرجل الذي اشترى منه الكوكا، وأخبره بشأن مرضه كما اتفق مع أبي فراس من قبل؛ فلم يكن من الرجل سوى أن يعطيه رقم هاتف محمد مساعد الدكتور علي ليتواصل معه نظرًا لأنه الوحيد المُلم بحالة ذلك الكوكا ويهتم كثيرًا لأمره، وعندما تحدث واهب مع محمد بشأن الكوكا لم يصدق محمد أن الفرصة التي يبحث عنها قد أتته بتلك السهولة، ثُمَّ ذهب من فوره إلى هناك ورأى الكوكا بعينه واطمأن عليه ولاح له الأمل

من جديد فقرر البدء في تنفيذ خطة جديدة لتعطيل نقل الكوكا لحين عودة دكتور علي وقد كان.

بعد لقاء واهب بمحمد وتناقش معه بشأن الكوكا ذهب إلى أبي فراس ليطلعه على الأمر، وفور أن رآه أبو فراس قال:

ـ تحدث على الفور.. ماذا هناك؟

ـ لقد تحدثت مع ذلك الرجل الذي اشترينا منه الكوكا وأخبرته بشأن مرضه فرشح لي شخصًا أهلًا لتلك المهمة، وتواصلت مع ذلك الرجل بالفعل، وجاء بالفعل بالأمس وقام بفحص الكوكا، وقال أنّ حالته حرجة وأنّ هناك شخصًا واحدًا فقط يستطيع إنقاذه.

ـ ألهذه الدرجة حالته حرجة؟

ـ يبدو ذلك.

ـ يا للحظ التعس.. وأين ذلك الرجل الذي يستطيع إنقاذه؟

طأطأ واهب رأسه أرضًا وقال:

ـ إنه مخطوف يا سيدي.

ـ إن هذا ما ينقصني حقًا.

....

لم تصدق أميرة أذنها عندما قالت لها رشا:

ـ لقد تحدثت إلى واهب وأكد لي أنهم تحدثوا مع الخاطفين بشأن لي لي واتفقوا معهم على دفع الفدية وتسليمهم إياها.

ـ حقًا.. وهل سيحررونها على الفور؟

ـ بالطبع طالما سيتم دفع الفدية.

ـ أسعدتِ قلبي يا رشا أشكرك كثيرًا.

فور أن أنهت أميرة معها المكالمة جرت نحو خالتها لتبشرها؛ فدخلت عليها ووجدت مصطفى يجلس معها، وكان الاثنان يتحدثان معًا، وفور أن دخلت عليهما أميرة ساد الصمت بينهما فقالت أميرة بحرج:

ـ آسفة لم أكن أعلم أن معكِ أحد.

ـ قالت فاطمة: لا عليكِ يا حبيبتي تفضلي.

ـ لقد جئت لأبشرك.. علياء أختي سيحررونها قريبًا.

ـ حقًا!

ـ سألها مصطفى: كيف عرفتِ؟

ـ من رشا.. لقد تحدثت معها وعرفت ذلك منها.

ـ حمدًا لله.. إن شاء الله تعود على خير ويرتاح قلبك يا آنسة أميرة.

ـ أشكرك يا أستاذ مصطفى.

كانت فاطمة تنظر إليهم في صمت لكن بداخل قلبها كانت تردد دعوة واحدة: يارب اجعل أميرة من نصيب مصطفى.

....

كان علي مستغرقًا في التفكير، ثُمَّ فجأة انتبه إلى نقطةٍ ما فقال:

ـ علياء.

لم ترد عليه على الفور فنادى عليها مرةً أخرى:

ـ علياء.. ألا تسمعينني؟

ـ بلى أسمعك وبوضوح ولكني اشتقت لسماع ذلك الاسم.

ـ اطمئني لن أناديكِ بغيره.

ـ ماذا كنت تريد؟

ـ لقد كنت أتذكر بعض من الأحداث الماضية ولفت انتباهي شيء غريب.

ـ ما هو؟

ـ إنه حلمك.. لقد تحقق.

ـ حلمي.. ألم تقل ل...

ـ لقد تذكرت آخر ما أخبرتني به عن حلمك وهو وجود نيران.

ـ نعم بالفعل.

ـ وهذا ما حدث معنا بالفعل، أعتقد أن كل ما رأيتِه بذلك الحلم قد تحقق.

قالت لي لي بزهو:

ـ ألم أخبرك بأن أحلامي كلها تتحقق.

ـ هذا يعني شيء واحد.

ـ ما هو؟

ـ أن بينك وبين الله صلة قوية.

ـ صلة قوية! ماذا تقصد؟

ـ لقد منحك الله هبة جميلة وهي تلك الرؤى التي تأتيكِ؛ لذا يجب عليكِ أن تنتبهي وتحافظي عليها.

ـ وكيف أحافظ عليها؟

ـ بالقرب من الله بالعبادات والدعاء المستمر.

تأثرت لي لي بحديثه ولمعت عيناها بالدموع وقالت:

ـ سأفعل بكل تأكيد.

ـ ألا تذكرين كيف كانت نهاية حلمك هذا؟

ـ آخر ما أتذكره هو تلك النيران.

ـ فقط.. هل انتهى الحلم على ذلك؟

أخذت تسترجع رؤيتها سريعًا وقالت:

ـ لا أتذكر شيئًا مع الأسف أظنه انتهى عند ذلك.

ـ هل أنتِ متأكدة؟

ترددت قليلًا قبل أن تجيبه وقد قُبض قلبها ولكنها مع ذلك قالت:

ـ نعم.

لم تكد تقول كلمتها حتى دخل عليهم رجلان وتقدما نحوها وقال أحدهما: هيا معنا.

ـ لي لي: ماذا تعني؟

ـ ألا تفهمين الإنجليزية؟

أسرع علي ووقف أمام لي لي يحجبها عن أعينهم، ثُمَّ قال لهم بحدة:

ـ يمكنكم التحدث معي أنا.. ماذا تريدون؟

ـ نريدها أن تأتي معنا.

ـ هي لن تذهب في أي مكان من دوني.

ـ لم نكن نطلب منك.

ثُمَّ توجه الرجل بالحديث إليها وقال:

ـ هيا.

ـ لي لي: لن أذهب معكم في أي مكان.

اقترب الرجل منها وأوشك أن يمسك بيديها؛ فدفعه علي عنها بقوة فكتفه أحدهما وأمسك الآخر بيدها؛ فأخذت تصرخ بقوة وتقول:

ـ اتركونا وشأننا.

دخل رجلٌ آخر عليهم وقال:

ـ ما كل تلك الضجة؟

ـ إنها لا تريد أن تأتي معنا.

ـ وكيف ستأتي معكم بتلك الطريقة؟!

ثُمَّ قال للرجل الذي يمسك بعلي:

ـ اتركه.

ثُمَّ قال لعلياء بلطف:

ـ نحن آسفون يا آنسة، رجالي لا يفهمون في الذوق.. سامحينا.

ـ علي: ماذا تريدون منا؟

ـ نحن لا نريد منك أنت شيئًا، أما عنها فهي يجب أن تأتي معنا لأن هناك من دفع لها الفدية.

لذلك ستغادرينا يا آنسة.. مبارك.

ـ قالت علياء: وماذا عنه؟

كانت تقصد علي

ـ لا.. هو سينتظر معنا حتى نبت في أمره.

نظرت علياء إلى علي ولم يبدُ على وجهها أية فرحة بما سمعته؛ فقال لها علي:

ـ لقد تحررتِ.. ماذا تنتظرين؟ هيا أخرجي معهم.

ـ لا.. لن أغادر من دونك.

ـ لقد جاءتك الفرصة لا تضيعيها، لا تقلقي عليّ؛ فأنا أستطيع الاعتناء بنفسي، وسأكون بخير حال.

ـ لا لن أتركك.

قال الرجل بنفاد صبر:

ـ هيا يا آنستي ليس لدينا اليوم بطوله.

ـ لن آتي معكما.. فأنا لن أغادر بدونه.

ـ هذا ليس اختيار يجب أن تأتي معنا حتى نتم العملية.. هيا تفضلي.

قالت لي لي بإصرار:

ـ لن آتي معكم.

قال لرجاله بلهجة آمرة:

ـ أحضروها رغمًا عنها.

ـ علي: ليس هناك داعٍ لذلك.. أنا سأقنعها.

ـ لن أغادر من دونك ولن أقتنع بعكس ذلك، وإن أردتم أخذي فلتأخذوني جثة هامدة.

.....

لم يصدق أبو فراس كلمة مما سمعها من واهب فقال له:

ـ أعِد عليّ ما قلته مرة أخرى.

ـ الفنانة ترفض أن تعود.

ـ لم أفهم بعد.

ـ إنها ترفض أن تغادر دون ذلك الرجل المصري المحتجز معها، تقول أنّه طبيبها ولن تذهب في أي مكان من دونه.

ـ أنا لا أعلم حقًا لماذا يحدث كل ذلك معي!!

ـ هل ندفع عنه الفدية أيضًا يا سيدي؟

ـ بالطبع لا، وهل أجد نقودي في الطرقات لأفرط بها هكذا؟!

ـ ماذا سنفعل إذًا؟

ـ ألا يجوز استرداد نصف المبلغ الذي قمنا بدفعه من أجلها؟

ـ بالطبع لا.. لن يسمحوا بذلك.

أخذ أبو فراس يفكر في صمت، ثُمَّ قال:

ـ ليس هناك حلٌ آخر اطلب منهم أن يأتوا بها رغمًا عنها.

ـ حاولوا فعل ذلك وهددت بقتل نفسها.

ـ قتل نفسها! هذا الأمر لا يعجبني قط.

وظل أبو فراس في حيرة من أمره ولم يعرف ماذا يفعل في ذلك الأمر، وفي اليوم التالي دخل واهب إلى أبي فراس وقال له:

ـ سيدي.. عندي لك مفاجأة سارة.

ـ وأخيرًا خبر سار.. اِئتني به.

ـ ذلك الطبيب الذي كنا نبحث عنه من أجل الكوكا.

ـ المخطوف؟

ـ نعم.. إنه هو نفسه المحتجز برفقة الفنانة.

ـ ما هذه المصادفة؟

ـ أعلم.. إنها مصادفة غريبة حقًا، ما رأيك يا سيدي هل ندفع له الفدية؟

ـ مائة وخمسون ألفًا! لا لا كثير جدًّا.

ـ لا لن ندفع ذلك المبلغ بالطبع؛ سأخفضه لأقل من ذلك بكثير.

ـ وهل يجوز ذلك؟

ـ اترك لي ذلك الأمر ولا تقلق البتة.

.....

في الكهف جلست علياء ساكنة لم تعد ترد على علي الذي تحدث إليها مرارًا وطلب منها أن تذهب بصحبتهم ولكنها أصَمَّت أذنيها عنه.

ثُمَّ دخل رجل عليهما وقال لها:

ـ يا آنسة لقد صبرنا عليكِ كثيرًا، وذلك الرجل الذي دفع لكِ الفدية سئم الانتظار.

ـ من هو.. هل هو أبو فراس؟

ـ يبدو ذلك.. إنه رجل من الخليج.

ـ أخبره أنني لن أخرج من هنا من دونه.

ـ أنتِ عنيدة حقًا.

ثُمَّ توجه بالحديث إلى علي وقال:

ـ وأنت ألا يوجد من يدفع عنك الفدية؟

ـ لا مع الأسف؛ فأنا لست مهمًا لأحد.

نظرت له لي لي بعتاب وقالت:

ـ لا تقل ذلك، أنت مهم للكثير ممن حولك.

ـ أنا قد أكون مهمًا عند حيواناتي لكن بالنسبة للبشر لا أعتقد ذلك.

ـ لمَ تقول ذلك؟ أنت مخطئ تمامًا يا دكتور وسترى.

دخل رجل آخر وأخذ يهمس في أذن زميله الذي ابتسم لما سمعه وقال:

ـ وأخيرًا.. حمدًا لله.

ثُمَّ قال لعلي ولي لي:

مبارك لكما أنتما الاثنان.. ستفارقاننا أخيرًا.

نظر له علي بدهشة وقال:

ـ هل أنت جاد؟

ـ نعم.. هناك من دفع لك الفدية.

ـ من الذي دفعها لي؟

ـ هذا ليس شأني.. هيا استعدا ستغادراننا اليوم.

.....

لم تصدق لي لي نفسها وهم يسلمونها لواهب ويستلمون منه النقود، وأخذت تصرخ من الفرح وتقول:

ـ أرأيت يا دكتور لقد تحررنا.

ـ نعم يا علياء.. حمدًا لله.

جرى محمد إلى علي وقام بحضنه وقال:

ـ الحمد لله على سلامتك يا دكتور، لقد طالت رحلتك كثيرًا.

ـ نعم بالفعل يا محمد، الحمد لله وصلت من رحلتي على خير، ولكن كيف أتيت إلى هنا وكيف تعرف واهب؟!

ـ هذا أمر يطول شرحه.

استقلوا جميعهم سيارة واهب وكان في استقبالهم أبو فراس الذي رحب بهم جميعًا وخاصةً بـلي لي، اقترب علي من أبي فراس وقال له:

ـ شكرًا جزيلًا لما فعلته معي، أنا مدين لك.

ـ أنا لم أفعل شيئًا يُذكر.

ـ شكرًا جزيلًا لك، أنا سأرد لك ما دفعته من أجلي بالتأكيد.

ـ لا يا دكتور أنا لن أقبل بذلك، أنا فقط لي طلب واحد عندك.

ـ تفضل ما هو؟

ـ لقد علمت أنك دكتور وباحث في عالم الحيوان، وأنك تفهم في تلك الحالات النادرة من الحيوانات المهددة بالانقراض، ونحن لدينا حيوان نادر ومريض، أريدك أن تلقي نظرة عليه.

قال علي بلهفة:

ـ منذ متى وهو مريض؟

تدخل واهب وقال:

ـ إنه مريض منذ أيام؛ لم يعد يلعب أو يأكل كما بالسابق.

ـ أين هو؟

ـ استرِح اليوم يا دكتور وأريك إياه غدًا.

ـ لا.. يجب أن أراه اليوم.

.....

لم ينتظر علي لحظة واحدة وطلب من واهب أن يأخذه إلى الكوكا ليفحصه ويطمئن عليه، وبالفعل أخذه واهب له وذهب معهما محمد.

وعندما رآه علي ووقع بصره عليه قال برقة:

ـ يا صغيري.. كم قلقتنا عليك كثيرًا، لقد ذقت أهوالًا حتى أراك.

اندهش واهب مما يحدث فنظر إلى محمد الذي قال له مفسرًا:

ـ دكتور علي يعامل الحيوانات معاملة خاصة؛ إنه يعاملها كأطفاله.

أخذ علي يفحص الكوكا باهتمام وهو يبادله الابتسام بين الحين والآخر، ثُمَّ انتهى من فحصه وقال لمحمد:

ـ محمد.. ماذا يحدث هنا؟ إنه فقط...

قاطعه محمد وقال:

ـ أعلم.. أعلم يا دكتور ما تقصده بالطبع..

ثُمَّ توجه بالحديث إلى واهب وقال:

ـ أرجوك يا أستاذ واهب اِئتنا ببعض الماء.

ذهب واهب فقال علي:

ـ أنا لا أفهم لماذا أخبرتهم بأنه مريض وهو ليس كذلك، إنه فقط لا يتناول ذلك الطعام لأنه يفضل نوعًا آخر.

ـ أعلم ذلك، ولكن أنا لم أجد وسيلة أخرى تمنعهم من نقله إلى أن تعود أنت وترى ما سنفعل معه.

ـ فهمت.. لقد أحسنت التصرف يا محمد، لا تقلق الكوكا في تصرفنا الآن، وسندعه سويًا بمحمية طبيعية قريبًا بإذن الله.

ـ كيف ذلك؟

ـ سأخبرك بكل شيء لاحقًا فور أن نغادر.

.....

دخلت علياء غرفتها في الفندق الذي حجز لها فيه أبو فراس، وفور دخولها قامت بشحن هاتفها حتى تتمكن من الاتصال بأميرة والاطمئنان عليها، فتحت هاتفها بالفعل الذي تلقى رسائل عديدة وانتظرت استقبالهم جميعًا، ثُمَّ شرعت في قراءتهم، وكانت أول رسالة والتي لفتت انتباهها من مديرة مدرسة أميرة، أخذت تقرأها في لهفة ووقع قلبها في قدمها وصرخت وقالت:

ـ أميرة أختي.

ثُمَّ اتصلت على الفور برشا التي فور أن رأت رقمها قالت:

ـ لي لي حبيبتي الحمد لله على سلامتك.. متى..

قالت علياء بسرعة:

ـ رشا أخبريني ماذا حدث لأميرة وكيف اختفت؟

ـ لا تقلقي إنها بخير، هي تمكث عند خالتكم الآن في كفر الشيخ.

ـ خالتي!! وكيف حدث ذلك؟!

ـ هذا موضوع يطول شرحه.

ـ حمدًا لله على كل حال، لقد قرأت رسالة مديرة مدرستها وارتعب قلبي.

ـ لا تقلقي عليها إنها بخير حال، لقد كنت عندها قريبًا وكانت قلقة عليكِ للغاية.

ـ هل عرفت بالأمر؟

ـ نعم مع الأسف.

ـ يجب أن أتحدث إليها على الفور إذًا.

ـ نعم بالطبع ستكون سعيدة للغاية بسماع صوتك.

ـ حسنًا سأهاتفها فور أن أنهي المكالمة معكِ.

ـ أخبريني بما حدث معكِ.

ـ ليس الآن.. سأتحدث إليكِ لاحقًا، أريد أن أطمئن الآن على أميرة أولًا.

ـ لا بأس سنتحدث لاحقًا، وستخبرينني بكل شيء وبالتفصيل.

ـ إن شاء الله.

.....

لم تصدق أميرة وهي ترى رقم لي لي على هاتفها، ردت على الفور وقالت:

ـ عل.. أقصد لي لي حبيبتي لقد اشتقت إليكِ كثيرًا.

ـ نادني بعلياء يا أميرة قلبي، لقد اشتقت لسماع ذلك الاسم منكِ.. كيف حالك يا صغيرتي؟

ـ أنا بخير حال طالما سمعت صوتك واطمأننت عليكِ.

ـ لقد قلقت عليكِ كثيرًا.

ـ ليس بقدر ما قلقت أنا عليكِ، الحمد لله على سلامتك، متى ستعودين لمصر؟

ـ سأعود فور أن أنتهي من تصوير ذلك الفيلم الذي أعمل عليه.

ـ أنا أحتاجك حقًا يا علياء، هل هذا الفيلم أهم مني؟

ـ بالطبع لا يا صغيرتي، ولكن هناك شرط جزائي إن لم أصور ذلك الفيلم وأنا لا أملك نقودًا تكفي، سأنتهي من ذلك الفيلم وأعود إليكِ سريعًا.

ـ وأنا في انتظارك.

ـ هل أنتِ مرتاحة عند خالتك؟

ـ نعم.

استدركت ما قالته وقالت:

ـ أنا آسفة حقًا أنني ذهبت إليها دون إذنٍ منكِ، لقد كنت مغتاظة بسبب سفرك المفاجئ دون إخباري لذلك ذهبت إلى خالتي.

ـ لا بأس يا حبيبتي.

ـ ألستِ مستاءة مني؟

ـ لا على الإطلاق، اهتمي بنفسك وسأراكِ قريبًا.

ـ إن شاء الله وأنا في انتظارك.

فور أن أنهت أميرة المكالمة جرت على خالتها لتبشرها، وقد كانت سعيدة للغاية ولم تكن خالتها أقل منها فرحًا، بعدها جاء مصطفى ليهنئها بعودة أختها وطلب أن يجلس معها وحدهما ليتحدث معها في أمر هام، وجلست معه أميرة وأصغت إليه وقال لها:

ـ أنا يا أميرة كنت أريد أن أتحدث إليكِ في ذلك الموضوع منذ فترة ولكن نظرًا لظروف أختك قمت بتأجيل الأمر، والآن حان الوقت لأفاتحك فيه.

ـ ماذا هناك يا أستاذ مصطفى؟

ـ أنا يا أميرة إنسان صريح ولا أحب اللف والدوران، أنا صارحت خالتي فاطمة وأخبرتها برغبتي في الارتباط بكِ.

ـ قالت بخجل: ماذا؟

ـ نعم يا أميرة أنا يسعدني أن تقبلي الارتباط بي، ولكن بالطبع بعد أن تنتهي من دراستك الجامعية.

ابتسمت أميرة وقالت:

ـ وهل ستنتظر كل ذلك؟

ـ لا تنسي أنني أمامي عامين أنا الآخر.

ـ نعم أعلم.

ـ أنا لست أنانيًا يا أميرة؛ فأنا أفكر بكِ كما أفكر بنفسي وإن قبلتِ بعرضي سنعلن خطبتنا فقط إلى أن تنهي دراستك.

ـ أنا لا أصدق أنك تفكر بمثل تلك الطريقة!!

ـ ليس كوني من هنا أن أتصرف مثلهم، أنا أفعل ما أجده مناسبًا.

ـ وهل هذا رأي خالتي أيضًا؟

ـ ذلك شيء يخصنا أنا وأنتِ فقط، سأعطيكِ فرصة لتفكري في الأمر.

كادت أن تخبره بموافقتها في التوّ واللحظة، ولكنّها قررت أن تتدلل عليه قليلًا فقالت بحياء:

ـ حسنًا سأفكر في الأمر.

.....

عندما نزلت علياء موقع التصوير كان العمل على قدم وساق، وعندما رآها أبو فراس سألها:

ـ لماذا نزلتِ للعمل اليوم ألم أقل لكِ أن تستريحي.

ـ يكفي ما تعطلتموه بسببي فلنبدأ العمل.

أخذ طاقم التصوير يرحبون بها في سعادة، وبعد الانتهاء من التصوير أخذها أبو فراس جانبًا وقال لها:

ـ لقد أعددت لكِ مفاجأة بمناسبة عيد مولدك، أنا أعلم أنه مضى لكننا سنحتفل به مع ذلك.

ـ أشكرك ولكن لا داعي لذلك.

ـ نحن سنحتفل بعيد مولدك ورجوعك أيضًا بالسلامة.

ثُمَّ فوجئت لي لي بطاقم التصوير الذي تجمع وجاء بكعكة كبيرة الحجم وأخذوا يغنون لها ويحتفلون بها، أما عنها فقد كانت سعيدة باهتمامهم بها، ولكن مع ذلك كانت فرحتها ناقصة، وعيناها تبحثان عن شيء آخر لا تعرف ماهيته.

.....

طلب أبو فراس من لي لي أن تأتي معه في مشوار ليفاجئها بما أحضره لها، وهناك عندما دخلت إلى ذلك المكان كانت المفاجأة في انتظارها، دخلت لتجد علي يقف وأمامه الكوكا يفحصه ويلاعبه، تنبه علي لوجودهما فنظر لها وتلاقت أعينهما قليلًا، فقطع أبو فراس ذلك الصمت وقال:

ـ مرحبًا بك يا دكتور أنا لم أكن أعلم بأنك هنا.

ـ لقد كنت أطمئن على الكوكا، وأطمئن بأنه قد تناول طعامه الذي أتيت له به.

ـ شكرًا جزيلًا لك يا دكتور أنت حقًا إنسان نبيل.

قالت لي لي:

ـ إنه بالفعل إنسان نبيل، كيف حالك يا دكتور؟

ـ أنا بخير يا علي.. أقصد يا آنسة.

كان علي يريد أن يتحدث إليها كثيرًا، ويسألها عن أحوالها لكن وجود أبي فراس جعله يبتلع كلماته.

قال أبو فراس لها:

ـ ما رأيك في تلك المفاجأة يا لي لي؟

ثُمَّ أشار إلى الكوكا.

ـ إنها حقًا مفاجأة رائعة ولكني لا أستحقها، ذلك الكوكا مكانه ليس هنا أو بصحبتي، هو مكانه الطبيعي في مكان مخصص لمثله من الحيوانات المنقرضة النادرة؛ لذلك أنا سأسلمه لدكتور علي ليقوم معه بالواجب.

قال أبو فراس مندهشًا:

ـ ماذا؟ هل ستفرطين بتلك السهولة في هديتي لكِ؟!

ـ أنا أقدر هديتك كثيرًا، ولكن ذلك التصرف هو الصحيح، مصلحة ذلك الكائن هي الأهم بالطبع، ألا ترى معي ذلك؟

ـ نعم بالطبع، كما ترين يا فنانة.

اقتربت لي لي من علي وقالت له:

ـ تفضل يا دكتور علي خُذه إلى المكان الذي ينتمي إليه.

ـ شكرًا جزيلًا لتصرفك النبيل يا آنسة.

اغتاظت لي لي من مناداته لها بذلك اللقب مجددًا، ثُمَّ قالت:

ـ اسمح لي فقط يا دكتور أن أرافقك وأنت تودعه ذلك المكان، أريد أن أودعه معك.

ـ لكِ هذا يا آنسة.

.....

ذهبت لي لي برفقة علي لتلك المحمية الصغيرة، وقد كانت تحمل الكوكا بين يديها الذي كان مستكينًا هادئًا في حضنها، كانت قد تعلقت به في تلك اللحظات القليلة، ومع ذلك نفذت ما يخصها من الاتفاق بشأنه، أخذه علي من بين يديها وتركه ليلهو ويجري، ثُمَّ اختفى من أمام أعينهم، ودمعت عين لي لي وقالت:

ـ هل أنت متأكد يا دكتور أن ذلك أفضل له؟

ـ نعم بالطبع.

ـ ألن يلتهمه هنا أي كائن مفترس بسبب طيبة قلبه.

ـ لا على الإطلاق، هنا المكان مؤمن تمامًا ليعيش بأمان.

قالت وقد رقَّ صوتها:

ـ هل تعتقد حقًا أنه سيكون بخير وأنت بعيدٌ عنه؟

ـ نعم بالتأكيد؛ فهنا سيجد من يهتم به.

ـ لا أعتقد ذلك؛ فلن يهتم به أحد مثلك ويخشى عليه كما كنت تفعل.

تقدمت لي لي بضعة خطوات بعيدًا عنه لتخفي دموعها، وحارَ علي في أمرها؛ فقد شعر أن حديثها له مغزى آخر.

اقترب منها وقال لها:

ـ أنا مضطر أن أودعك اليوم لأنني سأسافر بعد غد.

قالت بتأثر:

ـ ألا تستطيع أن تؤجل رحلتك إلى نهاية الأسبوع؟

ـ وما الداعي لذلك؟

ابتسمت لي لي وقالت:

ـ حتى يتسنى لي أن أسافر برفقتك، ألا تريد صحبتي معك في الطائرة كما بالسابق.

قال لها وهو يصطنع الابتسامة على وجهه:

ـ ألن يرافقك أبو فراس؟

ـ سيرافقني طاقم التصوير كله، ولكنني أريد أن أسافر بصحبتك أنت، ألست طبيبي؟

ابتسم لقولها وقال:

ـ وهل ما زلت في حاجتي؟

ـ نعم بالطبع.. هل توافق؟

ـ نعم لا بأس.

ـ ولي طلب آخر عندك.

ـ ما هو؟

ـ أريدك أن تحضر غدًا يوم التصوير حتى تعطيني رأيك هل أصلح كممثلة أم لا؟

ـ سأحضر وأعلم مقدمًا كم أنتِ محترفة وناجحة بلا شك.

.....

حضر علي التصوير كما وعد لي لي والتي كانت متألقة، وعندما رآها علي وهي تؤدي دورها خفق قلبه كثيرًا؛ فقد كانت تؤدي مشهد حب في الرواية، وبعد انتهائها من ذلك المشهد كانت تستعد للمشهد الذي يليه، ثُمَّ لمحها علي وهي تتشاجر مع المخرج، وانضم إليهما أبو فراس وبعض من الطاقم؛ فنادى علي على أحدهم وسأله عما يحدث فقال له:

ـ إنها مشكلة تتعلق بقبلة في المشهد، والفنانة ترفض ذلك بالرغم من أنها كانت موافقة من قبل عند بداية عرض الفيلم عليها، لا أعلم ما الذي جد لاعتراضها؟!

سمع علي ذلك الكلام وشعر بغصة في حلقه وقرر الانسحاب على الفور، وبالفعل انسحب بهدوء، وانتهت المشكلة بعدم وجود قبلة في المشهد

وأكملوا التصوير، وأخذت لي لي تبحث عن علي بعينيها دون جدوى، وعلى أثر ذلك كان أداؤها ليس جيدًا نوعًا ما، وانتهى يوم التصوير على ذلك الحال وكان أبو فراس في حيرة من أمرها كثيرًا لتغيرها المفاجئ وبخاصةً معه.

.....

على الطائرة جلس محمد إلى جانب دكتور علي وقال له:

ـ لا أصدق أننا قد نجحنا يا دكتور بعد كل ما حدث.

ـ ذلك توفيق من الله.

ـ لقد انهالت الاتصالات علينا من كل جهة ويريدون حضورك في أكثر من مؤتمر صحفي لتتحدث فيه عن تجربتك، وكل ما حدث معك.

ـ بإذن الله.

صعدت لي لي إلى الطائرة وكان أبو فراس بصحبتها، وعندما رآهما علي معًا شعر بالغضب ولم يعرف السبب في ذلك.

عندما رآه أبو فراس قام بمصافحته وقال له:

ـ كيف حالك يا دكتور؟

ـ بخير حال، أنا لم أنسَ ذلك المبلغ الذي دفعته لي، سأرده لك قريبًا.

ـ لا عليك يا دكتور، الأهم هو عودتك سالمًا أنت والفنانة.

ذهب بعد ذلك أبو فراس وبصحبته لي لي ليجلسا معًا، وتذكر علي كلمتها له بأنها تريد أن تسافر معه لتكون بصحبته، وقد ظن أنها ستجلس إلى جانبه

هو، وكان من الواضح أن بسبب وجود أبي فراس لن يحدث ذلك، لاحظ محمد الضيق على وجهه فسأله:

ـ ما بك يا دكتور، هل أنت على ما يرام؟

ـ أنا...

لم يكمل فقد قامت لي لي بمقاطعته وقالت:

ـ هل تسمح لي يا دكتور أن أجلس إلى جانبك؛ فأنت تعرف حالتي جيدًا المرتبطة برهاب ركوب الطائرة، وتعرف كيف تتصرف معها.

ـ وهل مازالت تلازمك تلك الحالة؟

ـ أعتقد أنها لم تفارقني بعد.

ثُمَّ قالت لمحمد:

ـ هل تسمح لي أن أجلس إلى جانبه يا أستاذ؟

ـ نعم بالطبع.. تفضلي.

جلست لي لي إلى جانب علي فقال:

ـ وأبو فراس ألن يغضب من ذلك؟

ـ لقد أخبرته بحالتي وخوفي من ركوب الطائرة، وأنني قد أتقيأ فوافق على الفور.

ضحك علي وضحكت هي أيضًا معه، وحلقت الطائرة في السماء تلك المرة دون صراخ لي لي وقلقها المعتاد؛ فقد أصبحت إنسانة أخرى غيرتها الظروف التي تعرضت لها.

كان علي يجلس صامتًا فسألته لي لي:

ـ لماذا غادرت يوم التصوير دون أن تُسلم عليّ؟

ـ كان عندي عمل هام.

ـ هل رأيت أدائي، أتظن أنني ممثلة محترفة؟

ـ نعم تبدين كذلك.

ـ أشعر أنك لست مقتنعًا بما تقوله.

ـ الأهم هو أن تكوني أنتِ مقتنعة.

ـ نعم أنت محق في ذلك يجب أن أكون أنا مقتنعة، ماذا ستفعل عند عودتك؟

ـ سأمارس عملي كما في السابق، وأعمل على بحثي الجديد.

ـ عن ماذا يتحدث ذلك البحث؟

أخذ علي يشرح لها أشياء علمية كثيرة وكانت هي تنصت له باهتمام بالرغم من عدم فهمها لمعظم مصطلحاته العلمية.

انتهت الرحلة هذه المرة سريعًا ولمح علي نظرة الحزن في أعين لي لي ووقفت تودعه في المطار عند وصولهما وسألته:

ـ هل من الممكن أن تعطيني رقمك لأتواصل معك، وأخبرك عندما يُعرض الفيلم لتراه قبل أي أحد.

ـ نعم بالطبع، لقد كنت سأطلب رقمك أنا أيضًا للتوّ، ويسعدني حقًا أن أشاهده.

تبادل الاثنان أرقامهما، وقام أبو فراس باستعجالها؛ فودعت علي سريعًا وشعرت وهي تمضي بأن قلبها يكاد يفارقها.

جلست لي لي في السيارة برفقة أبي فراس ودقات قلبها تكاد تخترق أذنها، لم تنافسها في علوها سوى أغنية كانت تتردد في راديو السيارة والتي كانت للفنان الراحل عبد الحليم حافظ:

(خايف مرة أحب وعارف... ليه أنا قلبي خايف

شوفت الحب بيبكي ويضحك... مالو عيون وشفايف

بس لو ألاقي اللي أحبه... واللي قلبي يروح لقلبه

واللي ترتاح روحي جنبه... يومها عمري ما أبقى خايف)

كانت لي لي تستمع للأغنية باهتمام وكأنها تسمعها للمرة الأولى، ثُمَّ فوجئت بأبي فراس يمسك بيديها؛ فسحبتها على الفور، واندهش هو منها وقال:

ـ ما بكِ يا لي لي، أشعر أنكِ متغيرة معي، ماذا حدث؟

ـ لم يحدث بيننا شيئًا من قبل ولن يحدث بيننا الآن.

ـ لماذا.. ماذا فعلت لتصديني هكذا؟

ـ أنت لم تفعل شيئًا، وأنا أقدر حقًا وقفتك معي ودفعك الفدية لي، وأنا قررت أن أرد ذلك المبلغ الذي دفعته لي من أجري عن الفيلم.

ـ ماذا تقولين؟

ـ أنا قررت أن أتنازل لك عن أجري في مقابل ما دفعته لي.

ـ هل انتهى كل شيء بيننا هكذا؟

ـ كما أخبرتك من قبل لم يكن بيننا أي شيء من الأساس لينتهي.

.....

كانت نفس الأغنية تتردد بداخل السيارة التي كان يستقلها دكتور علي مع محمد واندهش محمد من علي الذي أخذ يدندن تلك الأغنية مع المذياع وكان مندمجًا مع الأغنية تمامًا، ثُمَّ قال ل محمد:

ـ ما رأيك في الحب يا محمد؟

ـ الحب! ماذا تقصد؟

أخذ علي يردد الأغنية له فاندهش محمد من تصرفه وقال:

ـ هل أنت بخير يا دكتور؟

ـ نعم.. أعتقد ذلك.

ولكن في الحقيقة دكتور علي لم يكن على ما يرام.. فقد تغير.. تغير كثيرًا.

وصلت لي لي أخيرًا إلى بلدتهم بكفر الشيخ، ولم تصدق أميرة عينيها وهي تراها تقف أمامها؛ فجرت عليها وارتمت في حضنها وقالت لي لي:

ـ أميرة.. لقد اشتقت إليكِ كثيرًا يا صغيرتي.

ودخلت عليهما خالتهما وأخذت لي لي في حضنها طويلًا وقالت:

ـ علياء ابنة أختي.. اشتقت إليكِ يا حبيبتي.

ـ وأنا أيضًا يا خالتي.

بعد ذلك جلست أميرة مع أختها مطولًا كل منهما تحكي للأخرى عما مرت به، وكانت أميرة تستمع للأهوال التي تعرضت لها لي لي وبين كل كلمة وأخرى يتردد اسم علي في حكايتها، وفطنت أميرة بأن أختها تغيرت تمامًا، وأن علي هذا دوره في الحكاية لم ينتهِ بعد برغم انتهاء تلك الرحلة.

.....

جلست الخالة فاطمة مع لي لي طويلًا تعاتبها عما فعلته معها، وتستمع لها ثمَّ سامحتها بقلبها الطيب الحنون، وعرضت عليها أن تجلس بصحبتهم دون إرغام تلك المرة، وبأنها حرة فيما تفعل بعد ذلك وبالرغم من أن ذلك الحديث قد أراح فكر لي لي كثيرًا؛ لكن مع ذلك قلبها هو الذي لم يكن مستريحًا على الإطلاق، ولم يخفَ ذلك عن أميرة والتي كانت تراقب أختها عن قرب وشعرت بحالها المتغير، وقد تبدلت لي لي تمامًا ولم تعد تلك نفسها قبل أن تسافر.

.....

في إحدى الأيام دخلت أميرة على أختها فوجدتها تستمع لأغنية قديمة للفنانة (عفاف راضي) وكانت الأغنية تقول:

(يمكن على باله حبيبي.. يمكن عن باله أغيب.. لكن والله يا حبيبي عن بالي ما بتغيب.. يمكن تنساني.. لكن وأنا مالي.. دايمًا على بالي.. وعن بالي ما بتغيب.. يمكن يمكن.. حبيبي يمكن)

ما لفت انتباه أميرة هو أن الأغنية قد انتهت ومع ذلك أخذت لي لي تكمل وتغنيها باندماج وبصوتٍ حزينٍ، هالها ما يحدث مع أختها فجلست إلى جانبها وسألتها:

ـ ماذا يحدث معكِ يا لي لي؟

ـ ناديني بعلياء فأنا لم أعد أحب لي لي هذا.

ـ لقد تغيرتِ حقًا يا أختي ماذا بكِ؟

ـ إنه قلبي.

ـ ما به؟

ـ لم يعد بحوزتي.

لم تكن أميرة سعيدة وهي ترى أختها على ذلك الحال، ولم تكن تريد أن تفاتحها في موضوع مصطفى وهي على تلك الحالة، لكنه جاء هو ليتحدث معها؛ فهو كان مُصرٌّ أن يطلبها منها خاصةً، وقد أبدت له أميرة موافقتها.

جلست لي لي تستمع لمصطفى ولطلبه ولم تصدق أن أختها الصغيرة كبرت وستتزوج عما قريب.

قال لها مصطفى:

ـ ما رأيك يا آنسة علياء هل أنتِ موافقة؟

ـ طالما أميرة موافقة فأنا أيضًا موافقة.

.....

كانت سعادة أميرة لا توصف في ذلك اليوم عندما علمت بموافقة أختها على ارتباطها بمصطفى، وتحدثت مع لي لي وقالت:

ـ أنا أريد أن أصارحك بأمر ما يا علياء؛ فأنا أريد أن أستقر هنا مع خالتي، وأكمل تعليمي هنا أيضًا بجوار مصطفى؛ فقد وعدني بأنه سيساعدني في دروسي.

ـ كما تحبين يا أميرة قلبي.

ـ وأنتِ.. ماذا ستفعلين؟

ـ في البداية سأقوم بالبحث عن عمل جديد؛ فأنا لم يعد يستهويني العمل كممثلة، وربما أعود لمهنتي القديمة.

ـ أحسنتِ يا علياء و.. ودكتور علي؟

ـ ماذا عنه؟

ـ ألن تحاولي التحدث معه؟

ـ وماذا أقول له؟

ـ ألم تخبريه بأنه عند عرض الفيلم ستتحدثين معه وتطلبين منه أن يشاهده؟

ـ نعم لقد قلت له ذلك.. ولكن أليس.. أقصد.. أنا..

ـ أنتِ ماذا؟ تحدثي معه على الفور ولا تترددي.

ـ معكِ حق.. سأتحدث إليه.

وبالفعل أمسكت لي لي بالهاتف واتصلت به، ولكن رد شخصٌ آخر عليها وقال:

ـ معك محمد مساعد الدكتور علي بما أخدمك؟

أتاه صوت لي لي التي قالت:

ـ كنت أريد التحدث مع دكتور علي.

ـ دكتور علي في مؤتمر صحفي الآن.

ـ متى سينتهي حتى يتسنى لي أن أتحدث معه؟

ـ دكتور علي سيسافر عقب انتهاء المؤتمر الصحفي، من الممكن أن تطلعيني عما تريدينه وأنا سأخبره به.

ـ لا.. أفضل أن أخبره بنفسي، متى سيعود من السفر؟

ـ ليس في القريب العاجل، دكتور علي مُرشح لمنصب هام في الأمم المتحدة وربما تطيل غيبته، بماذا أخدمكِ؟

أغلقت لي لي الهاتف ولم تستطع أن تمنع دموعها التي انسابت على خدها فسألتها أميرة:

ـ ماذا حدث؟

ـ سيسافر ولن يعود قريبًا، لقد نسيني تمامًا أو ربما كان يُخيل إليّ أنه يفكر في وهو على العكس تمامًا.

ثُمَّ ارتمت في حضن أختها تبكي بشدة وتقول:

ـ لماذا سمحت لقلبي بالحب.. لماذا؟ لقد كنت مرتاحة الفكر بعكس الآن.

ـ لا تندمي على شعورك، أنتِ مخطئة بالتأكيد وهو يفكر بكِ كما تفكرين به

ـ لا.. أنا لن أصدق ظنوني بعد الآن، أنا يجب أن أصدق الواقع فقط.

.....

استقل علي الطائرة وعندما جلس أخذ يردد دعاء الركوب، ثُمَّ بعد ذلك أخذ يتفقد هاتفه قبل إغلاقه، ثُمَّ رأى رقم لي لي على هاتفه فقام بالاتصال بمحمد وسأله:

ـ هل اتصلت الآنسة لي لي على هاتفي؟

ـ نعم يا دكتور، لقد نسيت تمامًا أن أخبرك.

ـ ماذا كانت تريد؟

لم يكد يسأله حتى جاءت المضيفة وطلبت منه إغلاق الهاتف فقال لها:

ـ ثوانٍ فقط وسأغلقه، إن الأمر ضروري بالفعل.

ـ أنا آسفة نحن على وشك الإقلاع الآن.

اضطر علي أن يغلق الهاتف، وحاول أن يسترخي ولكن كيف يسترخي وبداخل قلبه كان هناك بركان يتأجج.

.....

دخلت أميرة على أختها وجدتها تصلي وأطالت السجود، وعندما انتهت سألتها:

ـ هل دعوتِ لي ولكِ؟

ـ نعم وبيقين.

ـ أحسن الله إليكِ يا أختي، أسأل الله أن يريح بالك.

ـ آمين.

بعد ذلك انشغل الجميع بالتحضير لحفلة خطوبة أميرة التي شغلت لي لي كثيرًا وأخرجتها من حالتها قليلًا.

جاء يوم الخطبة وكان العمل على قدم وساق للتجهيز للحفل وارتدت أميرة فستانًا أنيقًا، ولم تقل لي لي عنها أناقة وكان يوم جميل للغاية.

كان الجميع ملتف حول أميرة، وكانت لي لي تقف من بعيد تنظر إليها في فرحة ودمعت عينيها وكأنها ابنتها، ولم تستطع أن تكبح دموعها وقالت بتأثر:

ـ أشعر..

لم تكمل عبارتها عندما سمعت أحدًا يردد من خلفها:

ـ أشعر أنّ شيئًا سعيد سيحدث.

التفتت خلفها لتجد علي أمامها ويقول:

ـ أليس كذلك يا علياء؟

لم تصدق عينيها وقالت:

ـ دكتور علي أنت هنا.. كيف ذلك.. ألم تسافر؟!

ـ سافرت وعدت سريعًا.

ـ وعملك الجديد؟!

ـ لقد اكتفيت من السفر، سأعمل هنا في مصر، ولن أترك مصر بعد الآن.

ـ حقًا.

ـ حقًا.. وما أخبار عملك أنتِ الجديد؟

ـ هل علمت بذلك؟

ـ نعم فقد أخبرتني أميرة، ولكن لم أصدقها عندما أخبرتني بأنكِ تعملين مُعلمة!!

ـ ما لم تعرفه عني أنني عديدة المواهب.

ـ هذا صحيح.

ولكن كيف أتيت إلى هنا، كيف عرفت العنوان؟

ـ لقد تحدثت إليّ أميرة وقامت بدعوتي لحضور حفل خطبتها وها أنا قد لبيت الدعوة.

ـ مرحبًا بك في بلدتنا يا دكتور علي.

ـ علي فقط كما أناديكِ بعلياء.

ابتسمت في خجل فقال:

ـ لقد اشتقت إليكِ كثيرًا.

ـ حقًا.. ولماذا لم تحاول الاتصال بي إذًا؟

ـ كنت كلما أحاول الاتصال بكِ أرى وجه أبي فراس أمامي، فأتراجع في آخر لحظة.

ـ لم يعد لأبي فراس وجود في حياتي.

ـ أسعدتيني حقًا، هل تعرفين.. عندما علمت باتصالكِ بي كنت وقتها على متن الطائرة، كنت أريد بشدة أن أنزل عنها وأعود من فوري، وعندما وصلت إلى هناك وحضرت المؤتمر الصحفي الذي كان مُعدًا خصيصًا من أجلي؛ وجدتني أقف هناك أتحدث إليهم ولكن عقلي كان هنا في مصر، كنت أتحدث إليهم وتارة أتذكر لحظات مما حدثت بيننا فأضحك رغمًا عني وأعتذر منهم على عدم تركيزي، وفي النهاية لم أكمل المؤتمر الصحفي وحجزت لي على أول رحلة وعدت إلى هنا.

ـ الحمد لله على سلامتك يا دك.. أقصد يا علي.

ـ كم اشتقت للقائك، أنا لم أكن أعلم أنني أحبك على هذا النحو.

ارتبكت لي لي فقال لها:

ـ ألم تشتاقي إليّ؟

ـ بلى.. واشتقت لمغامراتنا معًا.

ـ لقد كانت أجمل أيام حياتي.

ـ وأنا أيضًا يا علي.

ـ أريد أن أسمعها منكِ، هل تحبينني كما أحبك؟

ابتسمت في خجل وقالت:

ـ نعم.. أحبك كثيرًا.

تزوج علي من علياء ورُزق الاثنان بفتاة جميلة للغاية تشبه والدتها وقاما بتسميتها بعُلا وكبرت عُلا وأصبح عندها ست سنوات،

وفي إحدى الأيام كانت عُلا لديها بطولة هامة ووقفت تنتظر دورها فاقترب علي منها وقال:

ـ علا حبيبتي.. أنا أريد أن أرى بطلتي فائزة اليوم، هل أنتِ مستعدة؟

وجدها تضع يدها على خدها فسألها:

ـ ما بكِ يا حبيبتي؟

ـ قالت: أشعر أنّ شيئًا سيئًا سيحدث.

لم يصدق علي ماسمعه وقال:

ـ ماذا؟ لاااااا.

****

تمت بحمد اللّه

رواية

رحلة إلى أستراليا

حنان حنفي أحمد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة
1443 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com